الضوء المنير

في الوعظ والتذكير

الجزء الأول

تأليف

إبراهيم محمد علي عبد الباقي

من علماء الأزهر

الطبعة الأولى

يطلب من الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها : علي يوسف سليمان

شارع الصنادقية - ميدان الأزهر بمصر

دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة

الكتاب به ميل كثير من الأهل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيد المصلحين ، وحجة الله على الناس أجمعين محمد بن عبد الله.

وبعد

فلما كانت شرعة الإسلام خاتمة الشرائع السماوية ، ودين البشرية جمعاء ، أودع الله فيها عنصر المرونة التى يستنبط منها العلماء العارفون بمقاصد الدين الأحكام الجزئية والمسائل الفرعية ، لهذا كان لها فى كل حادثة حكم ، ولكل مشكلة حل ، ولكل ضلة هداية تصديقا لهذه الحكمة (تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا) .

فمن القضايا التى حدثت :

١ ــ الفوائد فى القروض الإنتاجية ، وأصحاب المشروعات الاستثمارية .

٢ ــ انتصار الصهيونية على الدول العربية فى البدء ومعروف أن الله تعالى يقف بحوله وقوته بجانب المؤمنين ، والذين على الحق المبين . واليهود قوم قساة القلوب ، غلاظ الأكباد ، فكم من نبي قتلوه ، وكم من دم سفكوه ،

وكم من فساد نشروه ، وكأى من سحت أكلوه ؟ وحسبى فى ذلك وصف القرآن الكريم لهم « قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ » من سورة المائدة ٦٠ .

فكيف ينتصر الباطل على الحق ، والظلام على النور ، وكيف تفسر هذه الآيات « لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ، ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » من سورة آل عمران ١١١ ، ١١٢ .

كشفت لنا هذه الآيات الشريفة : أن ضرر اليهود للمسلمين يسير ، لن يلحقوا بالمسلمين ضررا إلا إذى بلسان كسب أو تهديد كاذب ، وأنهم إذا قاتلوا لا يستبسلون فى الدفاع بل يولون هاربين ، وقد ضرب الله عليهم الذلة فى أى مكان ، وفى أى زمان إلا إذا عصمهم عهد من الله على المؤمنين بعدم إيذائهم ، وعهد من الناس ، أى عقدوا عهدا مع الناس الذين يعيشون معهم كذلك ضربت عليهم المسكنة ، وهى الاستكانة والمهانة بأن يحكمهم غيرهم .

والجواب من وجوه :

١ — إن الله سننا لا تتغير ونظاما لا تتبدل ، وهى أن لكل شىء سببا ، فالهزيمة

أسباباً وللنصر أسبابا ، فمتى توفرت الأسباب التى سنها الله تعالى للنصر كانت الهزيمةعلى العدو ، ومن هذه الأسباب الإخلاص فى العمل ، والإيمان بالمبدأ ، والثقة بالنفس التى هى أقوى سلاح على العدو ، ومنها إعداد العدة وأخذ الحذر .

وعلى قدر تخلف الأسباب تكون الهزيمة ، فهل تحققت هذه الأسباب فينا حتى نطالب الله تعالى بتوفية وعده فى قوله تعالى : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » وهل نالت أمة استقلالا بدون مفاداة أو تضحية أو بيع أنفس كلا فتعاليم الإسلام فيها نجاح المسلم والكافر فى الدنيا .

فنجاح التاجر مثلا بالصدق فى القول وتوحيد السعر ، وعدم الغش والتدليس ، فمتى استمسك بها تاجر ربحت تجارته ، ومن عطلها خسرت صفقته مسلما كان أو كافرا ، لهذا لما نزلت هذه الآية الشريفة : « وما كانَ ربُّكَ ليهلكَ القرى بظلمٍ وأهلُها مصلحون (١) ، سئل الرسول صلى الله عليه وسلم :

أينا لم يظلم يارسول الله ؟ فنزل على أثر السؤال قوله تعالى : « إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيم » تكشف لنا هذه الآية الشريفة عن أن الشرك وحده لايكون سببا لهلاك الأمة ، مادامت الأمة مستمسكة بالأسباب التى سنها الله للإصلاح وبقاء العمران نعم هناك سبب آخر لنصر المؤمنين ، وهو الاستمساك بأوامر الله ، وعدم عصيانه ، لهذا أثر عن عمر رضى الله عنه ، هذا القول

---

(١) سورة هود ١١٧ .

فى بعض خطبه وهو يشيع الجيش ، : إن عدوكم أكثر منكم عدة وعتاداً ، فإذا لم يكن لكم من الله جانب أنتصر عليكم بقوته ، وإن أفضل العدة على العدو هى تقوى الله عز وجل وإن أخوف ماأخاف عليكم من ذنوبكم ، ولا تقولوا :

إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فإن الله سلط على أهل الكتاب المجوس وهم شر منهم فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ،مصداق ذلك قوله تعالى : « وَلينصُرَنَّ الله من يَنصرُه إنَّ اللهَ لقوىٌّ عزيز ،الذين إن مكنَّاهم فى الأرْض أقاموا الصلاةوآتَوا الزَّكاة وَأمَروا بالمعروف وَنهَوْا عن المنكر (١) » المعنى : نصرة من الله للعبد ظاهرة ، ونصرة العبد لله : أن ينصر عباده وينصر دينه ، بأن يعمل به ويعلمه الناس ومثل هذه الآية : إنْ تنصُروا الله ينصرْكم ويثبِّتْ أقدَامكم سورة محمد ٧ .

٢ — إن ماتعدونه نصرا خطأ ، لأن النصر الحقيق إنما يكون فى كسب المعركة الأخيرة ، ونحن فى بدايتها ، ولنضرب لذلك مثلا من تاريخنا : فى السنة الثامنة من الهجرة تجمع العرب على بكرة أبيهم ممن لم يسلموا ليحاربوا المسلمين ، فتصدى لهم المسلمون وكانوا إثنى عشر مجاهدا ، ولكنهم استخفوا بالعدو ، واغتروا بكثرتهم واهمين ، أن هذه الكثرة تكسبهم النصر من غير أن يكون لهم عون من الله ، فانقض عليهم العدو فهزمهم ، وفرق جمعهم ، فأدركوا خطأهم ، ورجعوا إلى ربهم تائبين ، فبدل الله تعالى قلقهم

---

(١) سورة الحج ٤٠ ، ٤١

طمأنينة ، وخوفهم أمنا ، وأنزل ملائكة يصلون بأرواحهم اتصالا يقوى قلوبهم كاتصال الشيطان ووسوسته للإنسان ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ولقد نصركمُ اللهُ فى مواطنَ كثيرة ويومَ حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكمُ الأرضُ بما رحُبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزلَ اللهُ سكينتَه على رسوله وعلى المؤمنين وأنزلَ جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاءُ الكافرين ، (١) .

٣ — وقريب من هذا « بيعة رضوان » ففى الحديث الصحيح : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « أتحسَبونَ الفتحَ فتح مكةَ إنما الفتحَ بيعةُ رضوان » .

تتلخص هذه البيعة فى أن الرسول وأصحابه خرجوا من المدينة ليؤدوا مناسك العمرة ، ومعهم الهدى فصدهم المشركون عن بيت الله فتألم المسلمون وحزنوا حزناً شديداً على صد المشركين إياهم عن البيت فعقدوا خناصرهم على مبايعة الرسول على الموت ، وأخلصوا فى هذه البيعة فقذف الله الرعب فى قلوب المشركين فصالحوهم على أن يرجعوا هذا العام ، ويؤدوا مناسك العمرة فى العام الذى يليه فكانت هذه البيعة سبباً فى فتح مكة ٨٠ .

هذا ولقد استفدنا من هذه الهزيمة أكبر استفادة إذ أنها أظهرت المخلص لنا فاستبقيناه وغير المخلص فاستبعدناه ، قال سبحانه : ما كان اللهُ

---

(١) التوبة ٢٤ ، ٢٥

ليذرَ المؤمنينَ على ما أنتم عليه حتى يميزَ الخبيث من الطيب ، سورة آل عمران ١٧٩

ومن المسائل التى تشتبه على الكثيرين فيظنون بالله الظن السوء أنهم يرون : النعم: نعم الصالح والطالح والمفسد والمصلح ، فهل هذا يتفق والعدل الإلهى الجواب : نستقيه من الحديث الذى جاء فى مسند الإمام أحمد عن أم سلمة : قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ظهرت المعاصى فى أمتى عمّهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناسٌ صالحون ؟ قال بلى قلتُ كيف يُصنع بأولئك قال يصيبهم ما أصاب الناسَ ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوانه مغزى الحديث إن العذاب يعمهم جميعا فى الدنيا لأن الدّنيا ليست دارجزاء ثم يلقون جزاء ذلك العذاب من رحمة الله .ورضوانه فى الآخرة ، ماتقر به أعينهم وتبتهج به نفوسهم .

على أن تعميم النقمة إنما يكون غالبا من مخالطة المغضوب عليهم وعدم الإنكار عليهم كما قال سبحانه :« ولا تركنُوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النارُ ، ومالكمْ من دون الله من أولياءَ ثمّ لا تنصرون » المعنى الإجمالى : تركنوا تميلو ، أولياء : أنصار وأصدقاء .

هذا ولما كان الظلم يوهى دعائم الأمن فى البلاد وينشر جرائم الفساد أعد الله تعالى لمن يخالط الظالمين ويداهنهم ، ولا ينكر عليهم عذابا أبدا وسخطا وجحيماً . فالآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه . ومن الناس من ينظر إلى الوجود نظرة سطحية من غير تفكير فيظن أنما

أن الأمور الجزئية والكلية في هذا العالم تسرى على غير نظام ثابت فلا تتبع سيرة الإنسان فى حياته من صلاح وفساد ولا فى الفرد من خير أو شر ذلك لأنهم يرون الحظ يوافق الشريرين والخيرين بدون تمييز بل تارة يجافى الخيريين ويحابى الشريرين ، فكم من شرير محظوظ فى الحياة وفى سعة من المال ، وكم من خيرٍ فى شظف من العيش وفى ضيق من المال ؟

نقول إن سعة الرزق تارة تكون فتنة قال تعالى « أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون(١) » ، وتارة تكون استدراجاً كما قال رسول الله صلى الله عليه : (إذا رأيت الله عز وجل يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ، ثم تلا قوله تعالى(٢) فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون » .

على إن حظ كل شخص فى الحياة الدنيا ليس وقفا على الثروة والبنين وكل متع الحياة .

وهذه الكارثة لم تكن أولى الكوارث التى منى بها المسلمون بل سبقهم جملة كوارث أهمها كارثتان أصيب المسلمون بهما أولاهما : الفتنة التتارية ، فقد أقبل المغول والتتر من الشمال الشرقى على البلاد الإسلامية كالسيل الجارف

---

(١) سورة المؤمنون ٥٦
(٢) سورة الأنعام ٤٤

ووضعوا السيف فى رقاب المسلمين وعطوا الخلافة الإسلامية ودخلوا البلاد وجاسوا خلال الديار .

وثانيتهما الفتنة الغربية التى دحرت البلاد الإسلامية ومزقت شمل الخلافة الإسلامية وأباحت سفك الدماء واقتسموا الشرق بينهم وعطلوا السكة الحديدية التى كانت تربط البلاد الإسلامية بعضها — ببعض . وبعد أن كانت المسافة تقطع فى أربعين يوما من دمشق الشام إلى المدينة صارت لا تتجاوز ثلاثة أيام .

وهناك كارثة أبلغ فى الأسى والأسف وأدعى إلى الشجن والألم من نكبة الأندلس فقد ظل الإسلام ثمانية قرون فى هذه البلاد حتى خرج منها علماء نابغون وحكماء ماهرون انتفعت الدنيا بمواهبهم وبخاصة أوربا ولما غلب على ملوك المسلمين حب الدنيا وضعف إيمانهم وانقسموا على بعضهم وكان العدو واقفا بالمرصاد فانتهز هذه الفرصة فشتت شملهم وخرب ديارهم فطوى للإسلام بساط ممدود ودالت دولة كبيرة ولم يبق منها إلا أطلال دارسة وذكريات حزينة تثير فى النفس بالغ الحسرات وتحفر فى قلب كل مسلم أعمق الجراحات .

قال تعالى : « فإذا مسَّ الإنسانَ ضرٌّ دعانا ثم إذا خوّلناه نعمةً منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة(١) » .

---

(١) سورة الزمر ٤٩

ثم إن السعادة ليست قاصرة على لذة الأجسام بل هناك سعادة دونها كل سعادة وهى شعور فى القلب يمد صاحبه بالرضاء والطمأنينة وانشراح الصدر ويحبوه بالسكينة وإن كان لايملك قوت يومه . وقديما قيل : ولربما يلقى الغنى بماله . أضعاف ما يلقى الفقير بفقره ولهذا لم يمن الله تعالى على نبيه بانتصاره على أعدائه ، ولابرياسته على قوم وإنما من عليه بشرح صدره قال سبحانه : « ألم نشرح لك صدرك » وكذلك يخطىء الكثيرون فى أنهم يقصرون الشقاء على الفقر المالى أو الاعتلال الجسمانى ، أو ما يشيع فى العالم من ظلم أو سوء تدبير ، أو ينشأ من هموم وأكدار وإنما الشقاء كل الشقاء أن يكون الإنسان فى قلق النفس وضيق الصدر أو يكون حليف أوهام يتخطفه الجزع ويستبد به الخوف .

وقد أثبت الطب النفسى أن التدين يشفى أكثر من نصف الأمراض التى يشكوها الناس وتصديق هذه النظرية أن الذين تنازلوا عن الأديان السماوية أصيب أكثرهم بالجنون ، والانتحار ، وأصيبت أسرهم بالانهيار والفساد ، . وما يفخرون من العلوم قد انقلب شرا لاخير فيه لأنه استخدم فى الشر لافى الخير ولم يستخدم فى الترفيه عن الإنسانية بل استعملوا أسفاه فى صنع آلات الحرب والدمار، وقد صرح علماء الاجتماع والتاريخ والعالمون بشئون الحياة أن ماينفق فى الأسلحة الآن يكفى البشرية حياتها غذاء وكساء ودواء وسكنا .

ومالى أذهب بعيدا وفى كل فترة من الزمن تنشب الحروب الفاجرة التى لاترحم صغيرا ولا تترك كبيرا ؟ فهذه المجازر الدموية والمذابح البشرية التى

تقشعر منها الأبدان ويشيب من هولها الولدان ـ وقد ولغوا فى دمائها، وغرقوا فيها إلى الأذقان ، وهذه المخترعات الكيمائية الآلية كثيرا مانسمع أنها استعملت فى ارتكاب الجرائم والمطامع الأشعبية وليس من شك فى أنها وصمة عار فى جبين المدنية الحديثة .

لله هذه الأنفس العزيزة وتلك الأرواح الغالية التى راحت ضحية هذه المدنية والتى صعدت إلى ربها شاكية إلى الله جور هؤلاء الذين خلت قلوبهم من الرحمة كأن قلوبهم قدت من حجر جامس ! !

ومن العجب العجاب أن هؤلاء يعيبون على الإسلام معارضته للخلاعة والمجون والتحلل والرقص والاعلانات الوقحة ، ولا يخجلون مما أصاب بلادهم من خزى وعار وانحلال خلق، وبخاصة المأساة الجارحة فى كل العصور حتى فى العصور البدائية. ولقد نقلت إلينا صحفهم اليومية التى هى لسان الأمة الفصيح ويراعها الصحيح بأن حكوماتهم ضاقوا ذرعاً بالمواليد غير الشرعيين ومن الإحصاءات الرسمية أنه يوجد فى كل صباح فى مستشفيات لندن وحدها خمسمائة مولود من المواليد غير الشرعيين وفى غيرها من المدن وقد أرغت فيها المجلات والصحف وأزبدت ، وليس لهذا سبب سوى مايتشدقون به من أن المرأة تتساوى مع الرجل فى كل الأعمال وقد نجم عن ذلك احتلال المرأة مقعد الرجل وهذا قلب للأوضاع لأن الرجل أقوى من المرأة فى كل ناحية من نواحى الحياة فهو أصلب عودا وأقوى إرادة وأصبر على تحمل الشدائد ، وقد أثبت علم التشريع أن تلافيف المخ فى الرجل أكثر وأقوى من تلافيف المرأة — فلماذا لا يوضع الرجل فيما يناسبه من الأعمال الخارجية

الشاقة والمرأة للأعمال الداخلية حتى تحفظ البيت كرامته والعفاف شرفه ويبقى على المرأة عفافها الذى إذا خدش لا يلتئم كالزجاج .

ولله الحمد قد هزت الأريحة طائفة منهم فأخذوا يقلدون المسلمين فى تعاليم دينهم ويضيون الحواجز التى تحفظ للرجل حقه وتصون المرأة عما يدنس سمعتها وما يحوم حولها من أقاويل .

فلسطين واليهود

اليهود قوم قساة القلوب ، غلاظ الأكباد ، قد انسلخوا عن دينهم الذى أنزل على موسى عليه السلام وبدلوا ماجاء فى التوراة ، وقد أخرجوا من فلسطين بناء على معاهدة أبرمها عمر بن الخطاب ، بين زعماء النصارى بقيادة البطريق « صفرونيوس » سنة ٦٣٢ تلك المعاهدة اشترط فيها النصارى ألا يبق فى بيت المقدس يهودى وألا يسمح لليهود بالدخول إلى القدس أو العيش فيها ، ومنذ ثلاثة عشر قرنا إلى أواخر الخلافة العثمانية ، وملوك المسلمين وأمراؤهم يتواصون على عدم تمكن اليهود من إقامتهم فى فلسطين تنفيذا لعهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويرون أن ذلك عهد قائم إلى يوم القيامة ، ولكن اليهود مازالوا يحلمون منذ ألفى سنة بالرجوع إلى فلسطين متأثرين بالعوامل الدينية والوعود الإلهية المزعومة ، وقد جاء نص صريح فى كتاب التلمود الذى وضعه رجال الدين الذين يسمون الحاخامات ويفضلونه على التوراة ، ماجاء فيه : أنه يحرم على اليهود أن يسكنوا خارج البلاد المقدسة التى هى : أورشليم وصفد والخليل وغيرها من أرض فلسطين ولقد جاء فى كتبهم المزعومة أن إسرائيل سأل إلهه قائلا : لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار قال لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم ، وقد عقدوا عدة مؤتمرات لتحقيق حلمهم وفى عام ١٨٩٧ أعلن

اليهود حركتهم الصهيونية فى مدينة باى بسويسرا ، للعمل على تحقيق فكرة الصهيونية الرامية إلى عودة اليهود إلى فلسطين مملكة يهودية .

وقد عرض على المؤتمر إنشاء هذا الوطن فى أوغنده بدلا من فلسطين ولكن هذه الفكرة عارضها الأكثرية ، وأبوا إلا التجمع فى فلسطين حول هيكل اليهود فى القدس ومما جاء فى كتابهم المزعوم : « الشعب المختار الذى يستحق الأبدية هم اليهود ، وأما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير ، وأن الربا محرم بينهم حلال فيما عداهم واستحلالهم قتل المسلمين كما حكى القرآن عنهم : « ليس علينا فى الأميين سبيل » وقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة ، وأعجب من هذا ماجاء فى التلمود : أن من احتقر أقوال الحاخام استحق الموت ، دون من احتقر أقوال التوراة ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء فى شريعة موسى .

وإن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد معضلة لايمكن حلها فى السماء ، وأن تعاليم الحاخامات لايمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله وقد وقع يوما الإختلاف بين البارى وعلماء اليهود فى مسألة فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام ومن خرافاتهم أيضا : أن القربان المتقبل عندهم أن تنزل نار من السماء فتحرقه حاش لله أن يحرق القربان المتقبل ومما جاء فى القرآن من القربان المتصل هو حكاية عنهم وهم

الذين يقولون ذلك ، وهم الذين بدلوا دين المسيح لأنه لايوجد فى العهد القديم ولا فى كتب الأنبياء السابقين مايدل على التثليث ولاصلب المسيح إلا إنجيل واحد يقول فى البدكانت الكلمة .

إن هذا لمن أعجب العجاب ، أى شخص عنده مسكة من العقل يصدق أن أحدا من البشر مهما أوتى من علم وذكاء يكون أقوى حجة وأعلم من الله الذى خلقه وخلق العالم كله لايقول ذلك إلامن كان عنده انحراف فى العقل أوعمى فى القلب قال تعالى صدق الله: « إنّها لاتعمى الأبصَار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

الصهيونية مذهب سياسى عنصرى مدمر اتخذت الدين سبيلا للتأثير على النفوس وبه يستدرن عطف العـالم بدموع غزيرة ، شأن المذاهب الخبيثة ، لتصل إلى أغراضها المدمرة وأهدافها الرهيبة والصهيونية لاستدلالها من ديانة موسى ، وإنما هى أطماع سياسية عنصرية ، صنعت لها دستورا من مسخ التوراة ، وخيالات التلمود ، وأحبار اليهود ، ولما لم يجدوا لهم سندا من التوراة فى دعوتهم الجديدة حرفوها واخترعوا قصصا نسبوها إلى الله ، فى بعضها وعد من عند الله بإقامة دولة لهم ، وفى بعضها أنهم شعب الله المختار .

فقرة يا صحاح ١٥ وفقرة ٢٠ اصحاح ٢٣ من سفر التثنية وحسبى أن أذكر تلك القصة التى ذكرها فضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد الغزالى فى كتابه « الاستعمار أحقاد » نقلا عن كتاب المؤرخ الفرنسى «شارل لوران»

واسم الكتاب «المسائل التاريخية عما جرى فى سوريا سنة ١٨٤٠ فى مساء الخامس من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ دعى الأب توما لحارة اليهود بقصد تطعيم ولد بالوقاية من الجدرى فلبى الدعوة فى الحال ولما أن شاهد أن الولد المطلوب لأجله مريض وفى درجة الخطر لم ير إجراء التطعيم موافقا فرجع لديره وكان بالقرب من بيت المريض دار « داود هراوى » وكان هذا الرجل معدودا من أتقى اليهود فى الشام وكان النصارى يبالغون فى توقيره واحترامه حتى أنهم كانوا يقولون : يهودى نصرانى صالح .

وكان داود هراوى صديقا للأب « توما » فلما رآه أمام داره استدعاه للدخول فلبى الأب « توما » دعوته ودخل فوجد هناك أخا داود وعمه اثنين من كبار اليهود فلما صار فى إحدى الغرف أغلق الباب وانقض الجميع عليه كالذئاب الكاسرة ، ووضعوا على فمه منديلا ، وربطوا رجليه وقدميه ، ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة من الشارع ، وألقوه هناك حتى جاء الليل ، وأخذوا فى الاستعداد لذبحه ، فلما جاء الحاخام استدعوا حلاقا يهوديا اسمه « سليمان » وأمروه بأن يذبح القسيس فأخذ السكين وأراد ذبحه ، ولكنه خاف وارتعد وامتنع عن الإقدام على هذا العمل فجاء الرجل التقى بين اليهود . . الرجل الوقور . . داود هراوى صديق توما بنفسه فأخذ السكين ونحره ، وكان الحاضرون يتناولون الدم فى زجاجات بيضاء أرسلت بعد ذلك إلى الحاخام باشا يعقوب . العنتابى .

ولما طال عدم رجوع الأب توما ذهب خادمه ابراهيم عمار إلى حارة اليهود يسأل عنه فأدخلوه أتباعهم وذبحوه كما ذبحوا معلمه .

وكشف الحادث واعترف سبعة من المتهمين قائلين : إنه قبل الواقعة بأيام أخبرهم الحاخام بأنه يلزم للحصول على دم بشرى لاستعماله فى عيد الفصح القريب فأجابه داود هراوى أنه سيحصل على ذلك ولو كلفه من الأموال مالا يعد ـ وهناك عشرات المئات من أمثلة هذه القصة ونماذجها روعت أوربا فى منتصف القرن الثامن عشر .

ماأحوج العالم الذى يموج فى الاضطرابات إلى هداية السماء ، وإلى دين ينير البصائر ، ويوجه العالم كله إلى الإنسانية الفاضلة ، ويبعدها عن العصبية الجامحة التى صرفت الناس عن الجد من القول إلى الهزل وعن النافع المثمر إلى التافه الغث ، فخلقت أمزجة فاسدة باردة ، لاتجد لذة ومتاعا ، إلا فى الساقط من القول واللهو من الحديث ، نعم إننا فى حاجة إلى من يذكرنا بمجد آبائنا الأولين ، وسياسة قوادنا الفاتحين الذين أعلوا كلمة الحق ، وساسوا أممهم بحكمة وحزم وشاركوهم فى البؤس والنعيم ، والشدة والرخاء ، إننا نغبطهم حيث لم يروا هذا الزمن المنكود الذى وقع أهله فى محنة قاسية ليس لها من دون الله كاشفة ، وأصبح العالم على شفا جرف هار وخيبة الدمار ، أقول هذا وأنا حريص كل الحرص على أن أقف موقفاً وسطا لامتحيزا للقديم ، ولا معاديا للجديد ولكن مؤيدا للحق حيث كان والحق أحق أن يتبع فليعذرنى القارىء إذا ثرت على هذا الجيل الحاضر فإنها ثورة تسير من العقل والحكمة ، فالإسلام يقيم المجتمع على أساس من التوازن والتراحم والتعاون ، ولا يضيق ذرعا بكل مايجلب نفعا للمجتمع من طريق مشروع ولا يتنافى مع الآداب فلا يقر الأفلام الخليعة والرقص الماجن

ولا الزنا بالتراضى لأن ذلك ينافى مايتطلبه الإسلام من طهر وعفاف وخلق كريم كما أنه لايحول بين المرء وما يغذى روحه والعمل الذى يصلح له فإذا ماحال بين المرأة وبين عمل فإنما كان لحفظ كرامتها وأنوثتها والإسلام يقف أمام كل فاسد ومفسد من رجل وامرأة ، والحقيقة المخزية أن المسلمين مسئولون عن هذا الانقلاب المخزى وتسليط الأجانب عليهم وما كان ذلك إلا لأنهم فقدوا خصائص المحبة الإسلامية حتى أصبحوا بحالتهم الحاضر ، أكبر فتنة للإسلام فعلينا أن نربى أبناءنا وبناتنا على أسس فاضلة ، ولا يعتبر ذلك تأخراً ولا رجعية فالتربية الحقة التى تستمد من أهل الدين ، والناقد البصير لايكون إمعة يقيس الخير والشر من نفسه ، ولا يندفع وراء التقليد كما عليه الكثيرون من تقليد الغربيين فى الخير والشر نعم فيهم نهضة وفيهم تحلل وفساد وفجر فيجب علينا أن نأخذ عنهم مايفيد ونتحاشى الإغراء والخلاعة والتحلل والفساد كما أنه دين سلم وسلام وسكينة وصفاء ومودة وإخاء مالم يكن دين حرب أو نزال أو مشاحنة وبغضاء دائما يهدف إلى السلام ويحض على تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف فى سبيلها حتى لايخشى من يريد الإسلام الفتنة على دينه ، وقد كانت الأمم تتحرش بجيرانها على حين غفلة دون إنذار سابق فتطلق عليهم المدافع وهم آمنون فلا يستطيعون أن يحموا أنفسهم مما نزل بهم بغتة فعقدت الأهالى فى هولندا مؤتمرا لهذا الغرض سنة ١٩٠٧ وقرروا ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه إذا لم تجب الدولة الموجه إليها الإنذار طلبات الدولة التى وجهت الإنذار ، وهذا القرار الذى جاء فى أوائل القرن العشرين جاء فى القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان قال تعالى :

« وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ »

ومن محاسن الإسلام أنه أوجب احترام العهود والمواثيق وتنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين كما قال سبحانه

« إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ »

كذلك قامت المنظمات الدولية فأسست جمعية تسمى عصبة الأمم على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى ثم انتهى أمرها بالفشل ثم أقيمت الأمم المتحدة عقب الحرب الثانية ولكن واأسفاه لجمت الحرية من طلوع فجرها ونكبت الإنسانية من يوم ميلادها وأسست لجنة أخرى لتحفظ حقوق الإنسان فلحقت بما قبلها فى الفشل والخذلان ، ويرجع فشل هؤلاء جميعا لأنها قامت على الباطل ، والباطل لاقيام له إلا فى غفلة الحق قال تعالى :

« إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »

وإن من الوفاء للتاريخ ألا ننسى أن لمصر دينا كبيرا فى أعناق المسلمين والعرب كافة ، عليهم أن يقفوا شعبا وحكومة إلى جانبها فى المحافل الدولية، ويؤيدونها بكل الوسائل ، وإن مصر التى قام فيها الأزهر الشريف من ألف عام منارة للدين وقبلة لعلماء المسلمين ، ومنهاج صاف وحصن لعلوم الشريعة الغراء ، ويؤمه طلاب المعاهد الدينية والعربية من جميع بلاد الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيجدون كل رعاية وعناية ، ثم يعودون إلى بلادهم حاملين إليهم مايعلمون من علم وهدى ونور وأخلاق وثقافة ، أما جيش

مصر فله مواقف مشهودة منها أنه هزم جيش انجلترا فى معركة رشيد التاريخية ، وأجلاهم عن مصر ، ومنها موقعة المنصورة التى وقع فيها لويس الثانى ملك فرنسا أسيرا وكثير من القواد وأسروا بدار ابن لقمان ومنها حملة نابليون والحملة الصليبية وغيرها ـ هذا ولم تحدث للمسلمين آية شدة أو تقصهم منبعه إلا كانت مصر أول المساعدين وهذا .

ومالى أذهب بعيدا وهذه فلسطين فلقد هبت مصر حكومة وشعبا لنجدة فلسطين بكل قوتها وبكل إمكانياتها وبذلت من دمائها وما لها وكاد الجيش الباسل المصرى أن يقذف باليهود إلى البحر لولا مؤامرة انجلترا وأمريكا ومن تبعهما من أعداء العرب ، والإسلام وكذلك دسائس وأعوان الأجانب فى بلاد العرب ومساعدتهم إلى نجدة اليهود بالهدنة الخاطئة وكانت النكسة التى منيت بها الأمة العربية والإسلامية بخسرانها معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، ولقد كانت مصر كريمة فى نجدتها لسوريا ولبنان ، وكان لها الفضل فى استقلالها ، ومساعدة المسلمين فى كل ما نزل بهم فكم من مؤتمرات عقدت فى مصر من أجل فلسطين والمغرب العربى وإندونيسيا وباكستان وكشمير وكم من وفود بعثت بها مصر إلى الهيئات الدولية من أجل نصرة تلك القضايا ومؤازرة الشعوب الشقيقة إلى مطالبها والعمل على خلاصها من براثن الاستعمار الغاشم .

هذا وقد صح الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر : ولم يارسول الله قال لأنهم وأرواحهم فى رباط إلى يوم القيامة » أخرج هذا الحديث شيخ الإسلام الشرقاوى فى تحفة الناظرين .

مسألة القربان عند اليهود: كانوا يذبحون الحيوان ويحرقونه بالنار وأما اعتقادهم بأن القربان المتقبل تنزل نار من السماء فتحرقه فلم يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث مرفوع. وقوله تعالى:

« ٱلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ » سورة آل عمران ١٨٣

قال الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والرضوان: يجوز وهو الأظهر أن يكون معنى: حتى نأتينا بقربان تأكله النار: أن يفرض علينا تقريب قربان يحرق بالنار، فقد كان من تشريعهم إحراق بعض القربان وقد أمر الله نبيه أن يرد عليهم فقال:

« قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » من سورة آل عمران ١٨٣

فى زعمكم أنكم لا تؤمنون بى لأنى لم آمر باحراق القرابين أى أنكم لم ترضوا بعصيان أولئك الرسل فقط بل قسوتم وقتلتموهم. وهـذا معقول لأن شرائع الله تعالى إنما شرعت لإصلاح الناس وتنظيم الحياة فكيف تأمر بإحراق القربان والله لا يحب الفساد

كذلك يرى الشيخ محمد عبده أن طوفان نوح إنما كان لقوم فقط لا لجميع الناس، لأن كل نبى أرسل إلى قوم خلا نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فإنه أرسل إلى الناس جميعاً.

ومن الناس من قاس الأمور بعقله ، ومعروف أن عقول البشر محدودة والله تعالى فوق الحدود .

فيتخيل إليه أن الأمور تجرى على غير نظام أعن سبهللا فهى لا تتبع سيرة الإنسان فى حياته من صلاح وفساد ، ولا فى نفسه من خير أو شر كما يرونه فى بعض الجزئيات : إن التوفيق يوافى الخيرين والشريرن ، بدون تمييز .

وقد يحابى الشريرين ويجافى الخيرين ولو كان فى العالم قانون يحد من متاع الشريرين لما حاد عن جادة الاستقامة . هذا قولهم بأفواههم ولقد نظروا إلى العالم بالعين الظاهرة التى لا ترى إلا المبصرات والألوان والأشكال وياويحهم لقد ضلوا سواء السبيل وأنهم نظروا إلى الوجود بالعين الباطنة التى تدرك حقيقة الله فى خلقه الوجود وإدراك لبديع صنعه ، وأن الله تعالى تارة يبسط الرزق لبعض الناس لا ليكرمه وإنما يكون استدراجا قال صلى الله عليه وسلم .

(إذا رَأَيْتَ اللهَ تعالى يُعْطِي العبدَ مِنَ الدُّنيا مَا يُحِب وهُو مقيمٌ عَلَى معاصِيه فإنَّما ذلكَ مِنه استدراجٌ ثم قرأ الآية ، وفى بعض الروايات « فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ » سورة الأنعام ٤٤(١) .

---

(١) رواه أحمد وغيره ، عن عقبة بن عامر .

الله والعلم الحديث

قبل أن تتأيد دولة العلم الحديث ـ كان الجدال عنيفا بين العلم والدين أما الآن فقد انطفأت جذوة الجدال بتقدم العلم الحديث بالاكتشافات الجديدة والمخترعات الحديثة وانتهى الخلاف من غير رجعة وهذه إحدى معجزات القرآن الكريم التى أخبر عنها من قديم : « وقل الحمدُ لله سيريكمْ آياتهِ فتعْرفونها » .

فنى كل وقت وحين تتجلى آيات الله تعالى فى الآفاق لتقوم حجة الله على الملحدين ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ، هذا وإن من ينعم نظره فى هذا العالم المترامى الأطراف ويتأمل فى نشأته ، والحلقة الأولى التى هى منشأ وجوده ومصدر حياته ، وما أودع فيه من قوى وأسرار ، وهندسة ونظام وإبداع لايسعه إلا الإيمان بخالقه : إيمان لايخالطه شك ولا يمازجه ريب . ومامن نفس منفوسة إلاوهى مطبوعة على معرفة طابعها مفطورة على حب فاطرها مؤمنة بوجود خالقها بجبلة طويت عليها النفوس وطبعت عليها القلوب ، لاسبيل إلى انتزاعها مهما تذرع الملحدون وتأول المتأولون . هذا وكلما رسخت قدم الإنسان فى علوم الكون وأمعن نظره فى أصل وجودها أدرك من أسراره وغرائب أطواره ما يجعل إيمانه بالله أثبت لأنه عرفه عن خبرة ، لاعن وراثة وتقليد .

قيل لرجل مستشرق : لماذا كنت متدينا ؟ قال : لأنى لا أعاف فطرتى يصدق ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ، فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لاَ تَبْدِيلَ لخلقِ الله ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ »

وهذا وقد أسلم الكثيرون بفطرتهم فنهم (قس بن ساعده ومن هؤلاء الذين آمنوا بفطرتهم ، وآمنوا بالبعث قبل البعثة المحمدية قس بن ساعدة الإيادى .

يدل على ذلك أنه كان يدعو قومه إلى نبذ عبادة الأوثان ، ويرشدهم إلى عبادة الخالق ومن خطبه :ـ

أيها الناس : اسمعوا وعوا من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ماهو آت آت . ليل داج (١) ونهار ساج (٢) ، وسماء ذات أبراج (٣) ، ونجوم تزهر (٤) وبحار تزخر (٥) ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة (٦) ، وأنهار مجراه ، إن فى السماء لخبرا (٧) وإن فى الأرض لعبرا ، مابال الناس يذهبون ولايرجعون ، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ، يقسم قس قسما لا إثم فيه : أن لله ديناً هو أرضى لكم ، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكرا وروى أنه بعد ذلك يقول : فى الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر (٨) لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر (٩) ورأيت قومى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر لايرجع الماضى إلى م ولامن الباقين غابر (١٠) أيقنت أنى لامحالة حيث صار القوم صائر .

« معانى المفردات »

١ — داج : مظلم ٢ — الساجى : الساكن والدائم

٣ — البرج : واحد الأبراج الاثنى عشر برجا

٤ — تزهر : تضىء وتتلألأ ٥ — تزخر : تطمى وترتفع

٦ — مدحاة : مبسوطة ٧ — فى صنع السماء : دليل على الخالق

٨ — بصائر : جمع بصيرة ، وهى العلم والخبرة

٩ — ورد الماء : أتاه ليشرب منه ، وصدر عنه : شرب ورجع ، أى تذهب الناس الموت ولا تعود ١٠ غابر : مقيم

كل هـــذا لايدع مجالا للشك فى أنه وجد عن قصد وتصميم ، وقدرة قدير ، وعلم عليم ، لاعن الصدفة ، لأن الصدفة وجدت عرضا ، فلا أن تذهب كما وجدت سترى ، لأنها ليست قائمة على دعائم ثابتة ، ولا خاضعة لقانون صارمة ولا ناهجة منهاجا خاصا ، فهى مضطربة لا تستقيم ساعة من نهار ، وكان علماء التوحيد يثبتون وجود الله بهذه المخلوقات ، ولكن العلم الحديث كان أقوى بيانات أعظم حجة على وجود الله تعالى فإنكار وجود الله تعالى بعد اكتشاف القوى الكهربية والأثير الذى ينقل الأصوات والصور من الأماكن البعيدة وينفذ من الجبال ويشق عباب الماء لا يكون إلا من نقص فى العقل أو انحراف فى التفكير هذا قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ، وينكر الفم طعم الماء من سقم .

وإن أمام الملحدين عقبة كئودا لا يستطيعون اجتيازها بحال من الأحوال تلك هى : علام يرتكز هذا الخلق العظيم ؟ وكيف وجدت الحلقة الأولى لهذا البناء أبناء من غير بيان ، وخلق من غير خالق ، وحركة من غير محرك ؟ .

قال على كرم الله وجهه : لو فكروا فى عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة ، والبصائر مدحوله ألا ينظرون إلى صغير ما خلق ، كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر) .

سبحان من بصر بشحم . وأسمع بعظم ، وأنطق بلحم ، وكلمة العلم هنا يراد بها : مجموع الحقائق التى توصل إليها الإنسان من طريق الحواس فى مراحل تفكيره وتجاربه ، ومن وحى فطرته التى أودعت فى أصل خلقته ، وعلى ضوء هذا العلم صاغ به الكائنات على هذه الأوضاع المحكمة قال تعالى :

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ(١)

فالسماء وأفلاكها والأرض وسكانها ، والبحار وحيتانها جميعها تسبح الله والتسبيح معناه : التنزيه ، والتنزيه تارة يكون بلسان المقال وأخرى يكون بلسان الحال فتسبيح الملائكة والإنس والجن يكون بلسان المقال ، وأما عالم الحيوان والنبات والجماد فإنما يكون بلسان الحال بمعنى دلالته على

(١) من سورة الإسراء ٤٤

أنه قادر حكيم بالغ الحكمة له العزة والجبروت لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، من ذلك ما أثر عن أبى حنيفة رضى الله عنه : (ذكروا أن سفينة موفرة بأنواع المتاجر وليس بها أحد يحرسها ويسوقها ، وهى مع ذلك تذهب وتجىء بنفسها ، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها ، وتسير حيث شاءت من غير أن يسوقها أحد . فقالوا له : هذا شيء لايصلح أن تشغل به فكرك ، لأنه لايقول به عاقل ، ولا يصدقه أحد ، فقال : أيها الناس إنكم أنتم الذين تقولون بلسان الحال ، إن لم يكن بلسان المقال ، فهذه سفينة الموجودات بما فيها من العوالم العلوية والسفلية ، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة فهل أنتم تأملتم عجائبها وحكمة المصرف لها ، فما كاد ينتهى من حديثه حتى لانت له قلوب الناس لموعظته وأسلموا ومن يسبح بلسان الحال الأشجار والنباتات فإن الأرض مطمور فيها كل ما نحتاج إليه فكل واحدة منها نأخذ غذاءها المناسب لها ونترك الباقى لغيرها فشجرة الزقوم مثلا وشجرة الزيتون وغيرهما جعلت القدرة الإلهية معملا كيماويا تحتها كما أن نوع من الفواكه مركب من عناصر مختلفة مقدرة بمقادير مضبوطة ، مما جعل هذا تفاحا وذاك برتقالا ، وآخر نخيلا وأعنابا ، وهكذا فإذا نقص كل نوع ، أو زاد ولو بقدر الذرة انقلب إلى نوع آخر ، وقد استطاع العلم أن يحلل تلك العناصر ولكن عجز عن إرجاعها لأن نسبة هذه العناصر رقيقة لايعلمها إلا خالقها وها هو ذا القرآن الكريم يقرر ذلك فى أروع أسلوب فى قوله تعالى :

« وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْزُونٍ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ(١) وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ »

سورة الحجر من ١٩ إلى ٢٠

أما تسبيح الأنعام فى تركيبها البديع ، فمثلا لما كان الجمل سفينة الصحراء ويحمل الأثقال إلى بلد لم تكن بالقرية إلا بشق الأنفس لم يجعل ظهره مستويا بل محدودبا جعل فيه سنماً حتى لا يثقله الحمل الثقيل وكذلك من كال القدرة أن جعلت رقبته طويلة ليتناول غذاءه من الأرض بسهولة ولتساعده إذا برك وإذا قام .

وفى أثى البقر بأنواعه يخرج هذا اللبن .

وحسبي فى ذلك قول الله تعالى :

« وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ »   من سورة النحل / ٦٦

أما تسبيح النحل فهو من أعجب العجاب فقد اكتشف العلماء عن النحل أسرارا دقيقة نقلتها صحيفة الاهرام فى ٢٢ / ٤ / ١٩٧٠ بعنوان : (سر الغذاء الملكى) وجاء ، تحت هذا العنوان ما يلى :

---

(١) مددناها : بسطناها ، ورواسي : جبال ثوابت ، موزون : مقدر

(سر الغذاء الملكى)

علماء الحشرات وصل من بحثهم المتوالى فيما أودعه الله فى هذه الحشرة من عجائب ، وما ألهمت به من غرائب : منها أن ملكة النحل تخرج عسلا ، أغنى وأغلى طعام فى الدنيا ، لا يضاهيه غذاء ، حيث إنه يفيد فى تصلب الشرايين ، وبجلطه الدم والحيوية والنشاط والتناسل والعقم ، وزيادة الوزن ومنشط قوى وحيوى ، وخصوصا لكبار السن ، والأطفال الصغار ، ولأجل هذا أخذ الناس يتهافتون على شرائه ، حتى بلغ ثمن الجرام الواحد جنيها وياليتهم يجدونه بسهولة .

وما وصل إليه العلماء : أنهم يجدون الشغالة الملكة فى جميع هذا الغذاء لايذوقونه ولا يأكلون منه شيئا وهذا الغذاء لا تضعه الشغالة فى أى مكان بل تضعه فى بيوت خاصة تبنيها داخل المملكة وتعد فيه الغذاء المخصوص .

ومن أعجب العجاب : أن هذه الملكة تشرف على نحو آلاف من الشغالة والمنظمين الملكة منها ماهو كالحاجب والحارس يقف على باب الخلية يقتل الأجنبى وكل من يحمل رائحة خبيثة ، ومنها من يقوم بعملية بناء البيت من الشمع وجعل هذه البيوت زوايا مسدسات منتظمات عجز عن مثلها كبار المهندسين ومنها كذا وكذا وهذه الملكة تعيش إلى سبع سنين بينما معدلات العمر فى الشغالة والذكور لا تتعدى أسابيع معدودة تصل أقصاها إلى ١٢ أسبوعا ، ولقد سموا مايخرج من الملكة لبن العسل ، لأنه متمتع بدرجه عالية من البروتينات والهرمونات ، والفيتامينات ، فلله در

العلماء ، ماعالجوا أمرا إلا كانوا فيه المثل الأعلى والإمام المبين ، وهم الآن يحولون الغذاء الملكى إلى شىء على مفيد يمكن حفظه فى المكتب والمنزل أو الثلاجة ، أوفى رف السيارة ، بعد أن تكالبت عليه شركات الأدوية : ياسبحان الله : حشرة من الحشرات تفوق العلماء ، فتجمع من الأنوار وثمر الأشجار وورق النبات والأزهار هذا الشراب الصافى ، ذلك الدواء الشافى ، وصدق الله :

« وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ »

(سورة النحل ٦٨ ، ٦٩)

من آيات البعث

قال تعالى : « لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ » القيامة من ١ إلى ٤

سيقت الآية الشريفة لتبين آثار قدرة الله تعالى فى خلقه الأول، وبدهى أن الإعادة أهون من البدء فى نظر العقل ، وأما عند الله تعالى فالجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوى والضعيف فى خلقه سواء كما قال تعالى : « مَا خَلْقُكُم ولا بَعْثُكُم إلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ » من سورة لقمان والبنان : أطراف الأصابع .

وهنا قامت معركة بين العقل والدين ، فالدين يقر أن الدقة التى فى البنان لا يضاهيها دقة فى الجسم حتى فى السمع والبصر . والعقل يرى عكس ذلك فى البصر ومازالت هذه الحيرة تكتنف الجانبين حتى تقدم العلم فكشف عن حقيقتها وجلاها من أصدائها وصدق القرآن الكريم بأن دقة البنان تفوق الدقة التى فى البصر أضعاف الأضعاف . وحسبى فى ذلك ماوصل إليه العلماء ونشروه فى جريدة الأهرام ففى ١٩٧٠/٥/١١ طالعتنا صحيفة الأهرام بما يأتى : (البصمة تبوح بكل أسرارها) : عشرون ألف عينة من البصمات . وماذا كشف من طبائع الناس .

ولقد اشترك فى هذا البحث طائفة من جهابزة العلماء : الدكتور (محمد

الظواهرى) أستاذ الأمراض الجلدية بقصر العينى والدكتور (زين العابدين سليم) رئيس وحدة بحوث كشف الجريمة بالمركز ، والدكتور (شفيق اسكندر) كبير خبراء البصمات فى تحقيق الشخصية ، والدكتور (عادل غانم) وكيل مصلحة تحقيق الشخصية ، والدكتور (زكريا فؤاد) رئيس قسم العلوم الصيدلية بالمركز القومى للبحوث والدكتورة (فائزة حموده) الباحثة بالمركز . والنتيجة أنه بالبصمة يمكن الآن تحديد أنواع من المهن ويمكن تحديد أمراض معينة فى صاحبها ويمكن كذلك تحديد أدوية بالذرات يتناولها وسوف يصبح من الصعب أن يفلت المجهول الذى يترك بصمته فى مكان الحادث إذا كانت البصمة غير مسجلة لدى أجهزة تحقيق الشخصية سوف يمكن الوصول عن طريق البصمة إلى كثير جدا من أوصاف ذلك المجهول سوف يستطيع الخبراء الاقتراب جداً من طبيعة مهنته ومن أمراض معينة يعانى منها وسيعرفون مثلا إذا كان المجهول شخصا متعودا على تناول الأدوية المنبهة أو المهدئة أو المضادات الحيوية .

هناك الآن عشرون ألف بصمة تبوح للخبراء بأدق أسرارها قبل الميلاد وبعد الوفاة . وبعد الوفاة ، تبقى بصمة الإنسان دليلا عليه إن البصمات تنشأ مع الجنين بالتحديد فى الأسبوع الثالث عشر من عمره فى بطن أمه ، ثم تبقى معه طوال الحياة ، ولفترة غير قصيرة بعد الوفاة فإن الثنايا الدقيقة المرتفعة التى تكون فى النهاية شكل بصمة الإنسان تظل حتى إلى ما بعد الوفاة ، فالجلد الذى فوقها هو آخر أعضاء الجسم التى يدركها التحلل بعد الوفاة لهذا فقد استقرت آراء الخبراء عند بداية القرن الحالى على أن

بصمات الأصابع وسيلة قاطعة الدلالة لتحقيق الشخصية ، وذلك بعد أن ثبت استحالة انطباق بصمة شخصين مختلفين ، أو بصمة أصبعين لشخص واحد ، حتى توائم البويضة الواحدة الذين يتشابهون فى العديد من أوصافهم ، أو كل أوصافهم تقريبا لا تتفق بصماتهم .

يقول الدكتور أحمد خليفة رئيس المركز القومى للبحوث الإجتماعية والجنائية : أن كل الإمكانيات قد وضعت فى خدمة البحث الذى يدور حول عشرين ألف عينة من البصمات ، والذى يحاول الوصول إلى كل أسرار البصمة ، ويحاول أيضا سد بعض الثغرات الموجودة فى نظام البصمات ، ومن ناحية إظهار البصمات الكامنة كالبصمات التى تترك على جلد الإنسان ، والتى لا يمكن رفعها بطريقة أكيدة ومطمئنة حتى الآن هذا وقد ختم هذا البحث بما يأتى .

ويقضى البحث من حول العشرين ألف عينة على أمل أن تبوح بكل أسرار البصمة إحدى معجزات الخلق لخبراء المجتمع والجريمة .

فإن بعض النتائج الأولية تؤكد أن هناك علاقة خفية بين الأب والإبن فى البصمة ومعنى هذا أن البصمة يمكن أن تورث عن الأب للإبن .

ومع هذا فإن لكل إنسان فى هذا العالم خصائص تميزه فى شكل البصمة وبعض النتائج تؤكد أيضا أن الأدوية المنبهة والمهدئة والمضادات الحيوية والذات يمكن أن يظهر أثرها فى البصمة !!

كل الكائنات مسخرة للانسان

« وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »

من سورة الجاثية ١٣ .

اقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يميز الإنسان عن سائر الكائنات ، فجمع فيه بين عالمين متضادين لا يجتمعان فى شىء واحد وهما عالم روحى علوى ، وعالم مادى سفلى. هذا ولما كانت الإنسانية الفاضلة لا تتحقق إلا إذا حفظ التوازن بين العالمين - شرع الله العبادات ، ليتصل الإنسان بربه فى فترات ينقطع فيها عن عالم المادة حتى لا تطغى على العالم الروحى فيختل التوازن بينهما فلا يكون إنسانا بالمعنى الصحيح فيكون إلى الحيوان أقرب .

من ذلك الصلوات الخمس والنوافل والصيام والأذكار والأدعية والتفكر فى خلق السموات والأرض . نعم كل شىء مسخر للإنسان خاضع له يتحكم فيه الإنسان لينتفع به ولم يخرج عن إرادته وسلطته إلا شىء واحد ، وهو القوى التى سماها الله إبليس كما جاء فى قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ(١) مِنْ

(١) صلصال : طين يابس

حَمَإٍ(١) مَسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ »

من سورة الحجر من ٢٨ إلى ٣٢

ولفضل الإنسان سجل الله على إبليس الشقاء وعاقبه بهذا العقاب الشديد « قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ، وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ »

من سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥

هذا ولما كانت حكمة خلق الإنسان فى الأرض خفيت على الملائكة حينما أخبرهم سبحانه بأنه سيخلقه اعترضوا على الله تعالى تجلى ذلك فى قوله وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ،

من سورة البقرة ٣٠ فالآية يفهم منها والله أعلم .

إنى ماخلقت الإنسان للشر وإنما خلقته للخير ، لعبادتى وإظهار آياتى ويعمر الأرض ويمشى فى مناكبها إلى أجل مسمى وتجرى عليه أحكام المسئولية والجزاء ، ويحمل أمانة التكليف والإبتلاء قياما بحقوق الله تعالى وإن هذه الخلافة الأرضية التى خلق لها اقتضت أن يكون مستعداً بفطرته للخير والشر على السواء ، وإن الشرور التى تأتى منه من سفك الدماء فإنها ضئيلة لا تقاس على ما فيه من الخير إذ أن الله لم يخلق شيئا للشر وإنما يخلقه للخير البحت أو الخير الذى يفوق الشر .

(١) حمإ : طين متغير

من أعلام النبوة

قال رسول الله صلى الله وعليه سلم :
(لاَ تَقُومُ السَّاعَةَ حَتَّى تُقَاتِلوا الْيَهُودَ ، حَتَّى يَقُولُ الْحَجَرُ : يا مُسْلِمُ هٰذَا يَهُودِى فاقْتلْهُ)

هذا الحديث قد تحقق فى تلك الأيام ، فإن إحراق بيت المقدس ترك فى كل قلب حسرة ، وفى كل نفس لوعة من المسلمين ، نعم فالعالم الإسلامى على بكرة أبيه الآن ألا يحارب اليهود بسلاحه فقط وإنما يحاربه بالسخط عليه ، واليهود أشد عداوة للمسلمين كما قال تعالى :

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا »
من سورة المائدة ٨٢

ويحدثنا التاريخ الصحيح أنه منذ وجد الإسلام ولد معه خصومه ، وعاش يعانى من كيدهم صنوفا من الفتن ، وألواناً من الافتراءات ، وبخاصة اليهود لما أخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة التى عاشوا فيها قرنين بعد أن شتتهم الإضطهادات من الأمم فما وسعهم إلا الكنف العربى ، ومن بقى منهم خبثت نواياهم وانطوت صورهم على حقد للدين فأرادوا أن يثأروا لأنفسهم ليشوهو جمال الدين بما يدسونه فيه من سموم أفكارهم باسم العلم ، وبأسلوب العلماء ، يدخلون من كل ثغرة ليحدثوا فى الإسلام ماينقض تعاليه ، ويقوض دعائمه ويطعنون فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين حملوا لواء الإسلام ، ومعروف أن الطعن فى الصحابة طعن فى الدين الذين هم رواته، يريدون بذلك زعزعة عقائد المسلمين وينفرون الناس منه . ولقد أثنى القرآن الكريم عليهم فى قوله :

« ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ »(١)

هذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولله المثل الأعلى ، ذلك بأنهم نشئوا قليلين ثم لايزالون يكثرون ، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام أجابه الواحد بعد الواحد حتى قوى أمره وكثر أصحابه كالزرع يبدو ضعيفا فيقوى بالتدريج حتى يغلظ ، وكما أن الإسلام لم يسلم من اليهود ، وكذلك لم يسلم من الصليبيين فى الهجوم على أصحابه بعد أن استولوا على الأرض المقدسة فى فلسطين فقد أقبلوا بخيلهم ورجالهم على المسلمين تحت رياسة ملوكهم ، واستعملوا قوتهم المادية ليمحوا من الوجود الإسلام وليتهم وقفوا عند هذا الحد بل تعاونوا مع المغول والتتار على حرب المسلمين ولكن الله رد كيدهم فى نحورهم وسلم المسلمون من شرهم .

ثم جاءوا عقب هذا الاستعمار الأوربى فوجهوا همهم إلى طمس معالم التاريخ الاسلامى بتشويه صفحاته ومحو الصور الناصعة من أذهان المسلمين ، ومع

---

(١) سورة الفتح ٢٩

هذه الحملات لم ينقلب على الدين منقلب بل لا يزال الدين يناطح السماء ويكافح السحاب بل كانت الاضطهادات تزيد المسلمين إيماناً ولحكمه إسلاما وفى رحمته أملا ورجاء لأن تعاليه تهدف إلى الاصلاح ودعم الاخاء ، ونشر الحرية والمساواة ، وتقرير الشورى حتى لا يستبد الرئيس بالمرءوس والقوى بالضعيف ، وكذلك تهدف تعاليه إلى الأخذ فى الأسباب ، وحسبى فى ذلك قوله تعالى :

« وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ »(١)

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ »(٢)

وكانت رسالته هى رسالة محبة وسلام ، لا رسالة عنف وشدة ذهبت بالضغائن والعداوة ، لأن الدين الذى أنزل عليه لا يحمل حقداً لأحد ويؤثر السلم على الحرب قال تعالى : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ ... »

سورة الأنفال ٦١ / ٦٢

---

(١) سورة التوبة ١٠٥ (٢) سورة الزلزلة ٧ ، ٨

الإسلام والصراط المستقيم

هذا عنوان كتاب وضعه نخبة من علماء العالم الإسلامى وجاء فى صفحة ١١٤ إلى ١١٦ ما يأتى :

العالم الإسلامى اليوم : فى هذا الفصل تابعنا انتشار الإسلام من مكة والمدينة إلى المحيط الأطلسى غربا وإلى المحيط الهادى شرقا ، ولم يتراجع الإسلام إلا من أطراف أوربا من المناطق التى لم يأخذ سكانها بتعاليم النبى صلى الله عليه وسلم ومع أنه لاتوجد لدينا إحصائيات عن عدد المسلمين فى العالم تشير تقديرات المحافظين إلى أن فى العالم اليوم أكثر من اربعمائة مليون مسلم .

ودلت الإحصاءات الأخيرة أن المسلمين يزيدون عن خمسمائة مليون مسلم . ويبين الجدول الآتى توزيع المسلمين فى شتى أرجاء المعمورة :

الشرق الأقصى : أثنان وأربعون مليونا وخمسة آلاف ، والصين وكوريا أثنان وأربعون مليونا (اليابان ـ خمسة آلاف) جنوبى شرق آسيا تسعة وسبعون مليونا ومائة وثمانون ألفا (اندونيسيا ـ أربعة وسبعون مليونا ومائتا ألف) (الفلبين ـ سبعمائة وتسعون ألفا) الهند الصينية ـ مائتان وخمسون ألفا) (الملايو : ثلاثة ملايين وثلثمائة ألف) (تايلان ستمائة وأربعون ألفا) ، (باكستان : ستة وستون مليونا) الهند أربعون مليونا ومائة ألفا (باكستان الهند ـ مائة وسبعة ملايين وأربعمائة وخمسون ألفا) ، (بورما . سبعمائة وخمسون ألفا) ، (وسيلان : خمسمائة ألف) ، (المناطق

التركية أربعة وستون مليونا ومائتان وخمسون ألفا)(١) : ثلاثة ملايين أفغانستان : أثنتا عشرة مليونا) ، تركيا : ثلاثة وعشرون مليونا وستمائة ألف) ، (الاتحاد السوفيتى : اثنا وعشرون مليوناً) ، (اليابان : سبعمائة ألف) (رومانيا خمسون ألفا) .

(البلاد العربية : عشرون مليونا وسبعمائة ألف) . (العراق : خمسة ملايين) ، (شبه الجزيرة العربية : اثنا وعشر مليونا وخمسمائة ألف) ، (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين : خمسة ملايين) (مصر ثلاثون مليونا تقريبا) ، (ليبيا مليون ومائتا ألف) ، (تونس : ثلاثة ملايين ومائتا ألف) الجزائر : ثمانية ملايين) ، (المغرب العربى : تسعة ملايين وأربعمائة ألف) (أفريقيا : خمسة وثلاثون مليونا) ، (بلاد الصومال : مليون وثمانمائة ألف) (الحبشة : ثلاثة ملايين ومائتا ألف) ، (تنجانيقا : مليون وخمسمائة ألف) (السودان : سبعة ملايين) ، (أفريقيا الاستوائية الفرنسية : مليون وخمسمائة ألف) ، (أفريقيا الغربية الفرنسية : ستة ملايين وثلثمائة ألف .)

(بلاد أفريقيا أخرى : ثلاثة عشر مليونا وسبعمائة ألف) بلاد غربية ثمانمائة ألف .

المجموع : أربعمائة وثلاثة عشر مليونا وخمسمائة وخمسة وثمانون ألفا .

تعقيب المؤلف : إن هذه الإحصائيات كانت منذ ثلاثين سنة تقريبا وإذا كان النسل فى أزدياد والداخلون فى الإسلام كثيرون ، فالعقل والمنطق

---

(١) مستسكيانع

يمكان بأن هذا العدد الآن على الضعف كما هو معروف مما بين أيدينا من أن السكان فى ازدياد مما جعل العالم بأجمعه يقف فى طريق الحمل بتناول الحبوب التى تمنعه .

جاء فى صحيفة الجمهورية بتاريخ ١٨ فبراير سنة ١٩٧٠ ما يأتى :

ثلاثون عاما فى الإسلام بقلم (ليون روشى) :

مسيو ليون روشى : سياسى فرنسى أقام فى العالم الإسلامى ثلاثين عاما تعلم فيها اللغة العربية وفنونها وقرأ العلوم الإسلامية . . . وزار الجزائر وتونس وتركيا ومصر والحجاز . . ثم ألف كتابا بعنوان « ثلاثون عاما فى الإسلام » .

يقول ليون روشى فى هذا الكتاب :

« اعتنقت دين الإسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر ، فوجدت هذا الدين أفضل دين عرفته ؛ فهو دين إنسانى طبيعى إقتصادى ، أدبى ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته فيه مشروعاً بل أننى عدت إلى الشريعة التى يسميها « سيمون » الشريعة الطبيعية ، فوجدتها وكأنها أخذت أخذا من الشريعة الإسلامية ، ثم بحثت فى تأثير هذا الدين فى نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما ، بل وجدت هذه النفوس على مثال مايحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف فى عالم لايعرف الشر واللغو الكذب .

« ولقد وجدت فيه حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا :

« الأولى » فى قول القرآن :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »(١)

فهذا أجمل مبادىء الاشتراكية .

« الثانية » فرض الزكاة على كل ذى مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إذا امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا » .

« إنه دين المحامد والفضائل ، ولو أنه وجد رجالا ليعلموه الناس حق العلم ويفسروه تمام التفسير لأصبح المسلمون أرقى العالمين وأسبقهم فى كل الميادين .

---

(١) سورة الحجرات ١٠

الإنسان فوق القمر

فى الأزمان الغابرة قبل أن تتأيد دولة العلم كان الحديث حول صعود الإنسان إلى القمر يعتبر نوعا من الخيالات ، وضربا من ضروب التكهنات لايقبله عقل ولا يؤيده فكر ، ولما تقدم العلم ، وتأيدت دولته وطار الإنسان فى الفضاء صار من السهل الوصول إلى القمر ، ويحدثنا التاريخ أن التاريخ أن أول من اخترع فن الطيران رجل اسمه أبو فرتاس أصله عربى وقد نشأ وترعرع فى بلاد الأندلس التى فتحها العرب فى القرن الأول الهجرى ولبثوا فيها ثمانية قرون حشدوا فيها كل أنواع العلوم ، وذلك بترجمة الكتب الحديثة فى الكرة الأرضية ولم يضنوا على مترجميها بالمال الوفير ، ولم يكن هذا الفيلسوف وحده هو السبب فى إيقاظ أوربا من نومها وبث روح العلم فى أهلها بل سبقه كثيرون ممن حفظ التاريخ ذكراهم ، ولم يسلم هذا المصلح من ألسنة الحاسدين وطعنات الجامدين ، سنة الله فى المصلحين والداعين إلى الحق المبين لابد أن يقف فى طريقهم الجامدون الجاهلون ـ وقديما قيل : من جهل شيئا عاداه وصدق الله العظيم :

« يَاحَسْرَةً عَلَى(١) الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ »

ولكن هذا الفيلسوف ضرب عن كل ذلك صفحاً ومضى فى تحقيق

---

(١) سورة يس ٣٠

فكرته بعد مجهودات مضنية وتجارب قاسية وكان أستاذه فى ذلك طيور السماء فقد تعلم منها كيف يطير بعد أن لبس لبوسها واقتدى بها - وعلى هذا فالعرب وحدهم هم أساس النهضة الحديثة لأن القرآن الذى هو أساس الدين فيه الكثير من الآيات التى تلفت الأنظار إلى قراءة آيات الكون فى صحف الطبيعة وذلك لتبين له بالبرهان القاطع أن هذا العالم كله علويه وسفليه ، ناطقه وصامته ، حيه وميته ، راجع إلى قوة عظمى ، وسلطة عليا تلكم هى قوة الله الذى وسع كل شىء رحمة وعلما . من هذه الآيات قوله تعالى :

« أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ[1] مِنْ شَيْءٍ » ، « قُلِ انظُرُوا[2] مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ » ، « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ[3] مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا » .

هذه رشفة من بحر العلم الإلهى الزاخر الذى أفاضه علينا القرآن الكريم ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة » .

---

(١) سورة الأعراف ١٨٥
(٢) سورة يونس ١٠١
(٣) سورة البقرة ٢٦٩

وبدهى أن العلم الذى نقصده ليس محصورا فى ناحية من النواحى ، ولا فى العلم الدينى وحده وإنما العلم أفسح مدى وأوسع مجالا وهو معرفة حقائق الوجود جميعا من دين ودنيا ليصل بذلك إلى تعظيم الموجد عز وجل وننتفع بما خلق الله فى السموات والأرض .

قال إمام الفلسفة الحديثة « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب من الله » .

وقال هكسلى الحكيم الكبير : « الدين والعلم توأمان متلاصقان فصلهما يؤدى إلى موتهما فإن العلم ينمو متى كان دينيا والدين يثبت متى كان علميا » .

وقال هربرت اسبنسر « العلم عدو الأوهام المتبادلة بين الناس باسم الدين ومكننة ليس بعد وللدين الحق الذى كثيرا ما تحاول هذه الأوهام ستره عن البصائر ، فلهذا كان شعار المسلمين فى هذه الحركة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » .

فالذى حفز العرب إلى تعلم العلوم إنما هو القرآن الكريم وتعاليم نبيهم العظيم فلم يكد الرسول يجاور ربه حتى انقلب أصحابه من بعده فى ظهر الأرض ينفقون وفير أموالهم ونفيس أزمانهم فى ترجمة الكتب الأجنبية من الفارسية واليونانية والسريانية والقبطية وغيرها من بلدان العالم حتى كانوا يجعلون ثمن ترجمة الكتاب زنته ذهب ومن هذه العلوم المترجمة :

الفلسفة ، الطبيعة ، الكيمياء ، الطب ، الصيدلة ، الجغرافيا ، الزراعة ، والورق والبارود والسكر والخزف ، وتركيب الأدوية ، ودبغ الجلود ، ونسيج كثير من المنسوجات ، وهذه الكتب قد حشدوها فى بلاد الأندلس التى هى جزء من أوربا .

فهذه الثروة العلمية هى التى كانت مبعث النهضة الحديثة وقد شهد بذلك علماؤهم :

قال الفيلسوف الانجليزى « بريفولت » إن الشرارة العلمية التى سارت إلى الحضارة الغربية لم تكن مبعثها اليونان والرومان ولا الشمال الشرق ، إنما كان مبعثها العرب وقال : «روبرتستون» ماخلاصته فى الزمن الذى كان فيه العرب يتدارسون العلوم المختلفة وينشرونها فى بلادهم كان أهل أوربا فى جهل مطبق ونوم عميق ، ولم يستفيقوا منه إلا بعد الحروب الصليبية فإنهم وجدوا حين اختلاطهم بالمسلمين علوما لا يعرفونها ، وبلادا متمدينة ذات نظم محكمة فاقتبسوا منها وأدخلوها فى بلادهم » .

هذا ولم تكن بلاد الأندلس وحدها مشرق النور والعرفان ، ومهبط العلم والعلماء بل الشام ومصر وفارس وما وراء النهر وطبرستان وأفغانستان فقد نبغ من العرب عدد غير قليل من فلاسفة وأطباء ، وكتاب ومؤرخون وخطباء وشعراء وعلماء أوربا لا يزالون يحتفظون بكتب هؤلاء فى مكاتبهم ويراجعونها ليسيروا على ضوئها من هؤلاء : ابن سينا وابن رشد وغيرهما .

هذا وبعد نبأنا التاريخ الصحيح أنه لم يمض على الإسلام قرن ونصف حتى سطعت الدعوة الإسلامية وتألقت فى آفاق الدنيا وسارت معها فضائلها وذاعت محامدها حتى صار علم الإسلام يخفق على باب كسرى وباب قيصر ، هاتان الدولتان اللتان على وجه الأرض دولة قدم منهما دولة ولقد ادهشت هذه الفتوحات كبار الفلاسفة وعلماء الاجتماع .

ويعلم القارىء أن هذه العلوم الحديثة تصدق القرآن الكريم فيما قصه علينا من الإسراء والمعراج ومجيء عرش بلقيس من بلاد اليمن إلى الشام في لمح البصر ، وكذلك تسخير الريح له في أنها تقطع في أول النهار من الفجر إلى طلوع الشمس مايقطعه المسافر في شهر وكذلك تقطع في آخر النهار مابين العصر إلى الغروب مايقطعه المسافر في شهر قال تعالى :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا »(١)

سورة الإسراء آية ١

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ(٢)

سورة سبأ آية ١٢

غفلة لم يسلم منها الكثيرون

يتعجب الإنسان من هذا الحادث وغيره من بدائع الصناعات وبدائع الاختراعات مع أنها لم تكن إلا باستخدام ماخلق الله فى السماء والأرض والاستنارة بآراء السابقين .

أفلا ينظرون إلى طيور السماء كيف تبسط جناحيها وتقبضها وتبنى عشها بنفسها بناء محكما ثم تخرج منه صباحا جائعة وترجع إليه مساء بطانا ، لاتضل طريقها ولو فى الليل الدامس وقد أرخى سدوله وغارت نجومه لايغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان :

« أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ » (٢) من سورة الملك ١٩

قال على كرم الله وجهه فى بعض خطبه :

لو فكروا فى عظم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ، ولكن القلوب عليلة والبصائر .

ألا ينظرون إلى صغير ماخلق ؟ كيف أحكم خلقه ، وأتقن تركيبه ، وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر ؟

---

(١) صافات : معناها باسطات .

انظروا إلى النحلة فى صغر جثتها ، ولطافة هيئتها لاتكاد تنال بلمح البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على أرضها (١) وصبت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها وتعدها فى مستقرها وتجمع فى حرها لبردها وفى ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لايغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ، ولو فى الصفا اليابس والحجر الجامس (٢) - ولو فكرت فى مجارى أكلها فى علوها وسفلها وما فى الجوف من شراسيف (٣) بطنها ، وما فى الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا وبقيت من وصفها تعبا تبارك الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ، ولم يعنه فى خلقها قادر .

وإن شئت قلت فى الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين ، وأسرج لها حدقتين قمراوين (٤) وجعل لها السمع الخفى وفتح لها الفم السوى ، وجعل لها نابين بهما تقرض ، ومنجلين بهما (٥) تقبض يرهبها الزراع فى زرعهم ، ولا يستطيعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث فى نزواتها (٦) وتقضى منه شهواتها ، وخلقها كله لايكون إلا أصبعا مستويا أهذه أم تلك النحلة التى تتنقل من زهرة إلى زهرة تمتص الأزهار وتستخرج منه الشمع لتبنى بيوتها معه ثم تأخذ الرحيق وتصبه فى زوايا هندسية مسدسة منظمة لم يستطع كبار

(١) صبت على رزقها : انحدرت بطلبه
(٢) الجامس : الجامد
(٣) شراسيف : أطراف
(٤) قمراوين : مضيئتين
(٥) وهما رجلاها
(٦) نزواتها : وثباتها

المهندسين أن يصنعوا مثل هذه الزوايا ولا يخطئوتها فى بناء بيوتها وهم يخطئون لأن معلمها الله تعالى الذى لايخفى عليه شىء فى الأرض والسماء .

وأعجب مافيها أنها نظمت أعمالها ، وقسمتها على أفرادها قسم يخدم الملكة وقسم عمال وقسم يقف على باب الخلية رقيب يحافظ على نظافة العمل ، فإذا ماوجد نحلة ريحها قذر لابد أن تعمل على قتله صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون قال تعالى :

« وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »

سورة النحل ٦١ ، ٦٩ .

وهذا الحيوان البهيم يأكل من الأرض العشب فيتناوله المعمل الكيمائى الموجود فى بطنه فيمزقه ويفتته ثم يحوله إلى أنواع كثيرة ، ويعطى كل خلية من خليات الجسم التى تبلغ سكان الأرض عدديه غذاءها الخاص بها ، ومنها هذا اللبن الأبيض الذى يخرج من بين الفرث والدم قال تعالى :

« وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ » من سورة النحل / ٦٦

وصدق الله : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ »(١)

المراد بالشيء من أمور الدين والله تعالى لم يبين المماثلة التى بيننا وبين الدواب والطيور لأجل أن نستعمل حواسنا وعقولنا فى البحث الموصل إلى ذلك .

لهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن كل مايدركه العقل تركه له حتى لاتتعطل هذه الموهبة ومالا يدركه العقل سواء كان يتعلق بديننا أو دنيانا بينه على لسان رسله .

ولذلك قام علماء أخصائيون فى بلاد العلم والحضارة بتربية أنواع السباع والحشرات والبهائم الوحشية وغير الوحشية والسمك وغيرها وربوها فى بساتين وخبروها وقد وصلوا إلى علم جم ووقفوا على أسرار غريبة تصدق القرآن الكريم بأن الله تعالى ماخلقها عبثا ، وأنها أمم لها نظام تسير عليه وتحافظ على نفسها وعلى نسلها قال أبو ذر : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : مايقلب طائر جناحيه إلا ذكر لنا منه علما .

---

(١) سورة الأنعام ٣٨

خسوف القمر وكسوف الشمس

كان الناس فى الجاهلية يعتقدون أن خسوف القمر أو كسوف الشمس لايكونان إلا لموت كبير أو ولادة عظيم ولما مات ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم صادف ذلك كسوف الشمس فأخذوا يفيضون فى القول بأن ذلك الحادث كان لموت ابراهيم فقام الرسول فيهم خطيبا وقال: إن الشمس والقمر لاينكسفان لموت أحد ولا احياته، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى يكشف مابكم» يريد الرسول صلى الله عليه وسلم توجيه هذه النفوس إلى فاطر الشمس والقمر وأن يجتث شجرة الشوك من قلوبهم فيعبدوا رب المشارق والمغارب لا الكواكب قال تعالى:

« لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » (١)

تعبدون، ومن هذا التوجيه كان إذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربى وربك الله، هلال خير ورشد فتبين من هذا الهدى أن الكسوف والخسوف إنما هما من نظام الله الذى جرت سنته الكونية فى تنظيم هذه المجموعة الشمسية والأفلاك العلوية، وقد ثبت لدى علماء الهيئة الفلك أن كسوف الشمس يكون بحيلولة القمر بينها وبين الأرض، وخسوف القمر بحيلولة الأرض بيننا وبينه فاذا ماحجبا

---

(١) سورة فصلت ٣٨

عنا نفزع إلى الله ونلجأ إليه فى أن يكشف عنا هذا الضرر وندعوه ونتصدق . أما قرع الطبول وعزف الموسيقى فلا يقرهما عقل ولا دين .

وإليك ما كتبه البعيد وكيل المرصد بحلوان حينما سئل عن قوله تعالى : «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »(1)

قال : ثبت لدى العلماء أخيرا أن للشمس حركتين حقيقيتين إحداهما حول محورها فى كل سنة وعشرين يوما تقريبا ، وتدل عليها أرصاد كلف الشمس ، وهى نقطة سوداء تظهر على سطحها بين حين وآخر ، وتتغير مواقعها بالنسبة إلى السطح وتقطع المسافة بين حافتى العرض فى زمن قدره ١٣٥ يوما وثانيهما دوران الشمس ومن حولها كواكبها الكواكب السيارة وأقمارها حول مركز النظام النجومى بسرعة تقدر بنحو مائتى ميل فى الثانية ، والشمس واحدة من ملايين النجوم التى تكون النظام النجومى ، والذى ثبت أنه يدور حول مركزه ، ونظرا لأن الشمس لا تقع عند مركزه فإن لها حركة دورانية والذى يفهمه الفلكى أو الرياضى من المستقر لجسم يتحرك حركة دورانيه أنه المحور الثابت الذى تكون الحركة حوله أو مركز المدار الدائرى لهذه الحركة . ففى الحالة الأولى يكون المستقر هو الخط الواصل بين قطبى الشمس ، وفى الحالة الثانية يكون هو مركز النجومى بأسره ، والذى يدور حوله الشمس وكافة النجوم الأخرى ، وإذا علم أن هاتين الحركتين الحقيقيتين للشمس لم تثبتا بالبرهان العلمى والأرصاد الفلكية إلا حديثا أدركنا ما فى هذه الآية الكريمة من إعجاز .

(1) سورة يس ٣٨ ، ٣٩ .

أما القمر نذكر أن له حركة حقيقية حول الأرض ، ويمكن ملاحظتها بسهولة من مراقبة موقعه بين النجوم ليلة بعد أخرى،فالمداران سالفا الذكر ليسا فى مستوى واحد بل يحمل أحدهما عن الآخر،ولولا ذلك لتكرر كل من الكسوف والخسوف مرة فى كل شهر ، وهكذا يتبين كيف أن لكل من الشمس والقمر فلكا أومدارا مستقلا وبعد أن يتم القمر دورته فى مداره متنقلا بين منازله هذه يعود كما بدأ هلالا صغيرا متقوساً فى بادىء الشهر ويرى فى ضوء الشفق بعد مغيب الشمس ، ويكون لونه مصفرا كعرجون النخل ، لأن مركبات ضوئه لأخرى تتشتت فى الطبقة الهوائية قبلوصولها إلى عين الراصد ، كما ترى لون الشمس مصفرة حين الشروق ، أو حين الغروب الخ ماقال .

العبرة من هذا أن الله سبحانهوتعالى جعل الشمس على مسافة تستمدمنها حرارتها بمقدار معين بحيث تكون صالحة لحياة الإنسان والحيوان والنبات فلم تقرب من الأرض حتى تهلك سكانها حرارتها ولم تبعد عنها حتى تؤذيهما صبارتها، ومن رحمة الله سبحانه بخلقه أن تدور حول الشمس ومحورها مائل على سمائها حتى يتمتع جميع سكانها بخيرات الفصول الأربعة ، ولو جعل محورها عموديا على فلكها لكانت حرارة بقاع الأرض على الدوام ثابتة ولحرم أهل القطبين من الشمس تبقى حرارتهاعلى الدوام جامدة،وتبقى بلادهم طوال السنة مغطاة بالثلوج فتستحيل الحياة صنع الله الذى أتقن كل شىء ، وقد ثبت أن جمع أجرام هذا الكون متحركة الأرض وماعليها الشمس والقمر ، وسائر الكواكب والهواء والماء . الأرض تدور حول محورها فيكون الليل والنهار وتدور حول الشمس فتكون السنة التى يكون منها

الفصول الأربعة ويدور القمر حول الأرض فيكون الشهر الذى نعلم منه السنين والحساب .

والفت نظر القراء أن ماوصل إليه العلم الآن نسبته إلى ماغاب عنا كنسبة ذرة من أرض الدنيا وجبالها أو قطرة من بحارها .

جاء فى صحيفة الجمهورية يوم الأحد ٧ من شعبان سنة ١٣٨٩ الموافق ١٩ اكتوبر سنة ١٩٦٩ مقالا ضد الإسلام وغزو القمر قال صاحب المقال الأستاذ عبد الرزاق نوفل فى مقدمة المقال ان خصوم الإسلام يعلنون أن هبوط الإنسان على القمر يناهض الإسلام ويناقضه ثم قال حفظه الله : الحقيقة أن الإسلام دين قام على العلم ودعا إلى المناقشة العلمية وطالب أن يكون أهله من العلماء بأن قرر أن العلماء هم شهود التوحيد بعد الملائكة مباشرة بالنص الشريف قال سبحانه :

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ »

وصرح لهم هم الذين يخشون الله بعلمهم كما جاء فى النص الكريم :

« إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »

بل إن أول آيات القرآن الكريم نزولا كانت حقا على العلم بلفظ صريح واضح وأمراً بالتعليم بنص صريح واضح ، وكانت توجيها للإنسان لدراسة أدق العلوم وأوسعها ألا وهو علم خلق الإنسان كما قال تعالى :

« اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

والعلم فى القرآن الكريم جاء فى أكثر من سبعمائة آية فى القرآن الكريم ضربت فى علوم شتى نلفت العقل إلى دراستها لأن العقل يهتدى إليها كالطب والكيميا وعلم النفس والتشريح وعلوم الذرة والنبات وغيرها فقول الله تعالى :

« قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض »

وبدهى أن النظر فى السموات والأرض يتأتى بالعين المجردة وانما يكون باتخاذ كل وسائل الدراسة . . . ثم يدعو القرآن الكريم إلى المعنى فى الدراسة بحيث كلما وصل الإنسان إلى حقيقة وجب عليه أن يتجاوزها إلى أخرى إذ أن الحقائق العلمية فى السماء أكثر من أن تحصى أو تعد فيقول القرآن الكريم :

« إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِى الأَلْبَابْ »(١)

وبدهى أنه لايمكن للإنسان أن يقف على هذه الآيات إلابعد دراسة السماء ومافيها دراسة علمية يستخدم فيها عقله ثم يبين القرآن الكريم أن من وسائل دراسة السماء غزو الفضاء والارتفاع فى السماء ويشجع القرآن الكريم الإنسان على هذا الإتجاه فى الدراسة بأن يقرر بأن الجن سبق لهم غزو الفضاء بل الإرتفاع فى السماء إلى الحد الذى كانت تقعد منها مقاعد السمع وأنها بتكرار الغزو فى محاولات أخرى لمست السماء فوجدتها ملئت

---

(١) سورة آل عمران ١٩٠

بالمواقع التى تمنع انطلاقها إلى الحد الذى كانت قد وصلت إليه وذلك بالنص الشريف :

« وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ، وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا »

وجاء عن الأستاذ فى العدد الذى يليه مايفيد أن سورة الرحمن توجه نظرا الإنسان إلى الوقوف على أسرار السماء والشمس والقمر من حركات ودوران قال تعالى :

« وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ »

فالشمس والقمر يحتاجان إلى دراسة عميقة حتى يحفظ الإنسان بسيرها المنظم ومواقعها ثم قال سبحانه :

« وَوَضَعَ الْمِيزَانَ »

وهو الحساب الدقيق هو الذى تتميز به السماء ورفعها ومافيها كل هذا يفيد أن غزو الفضاء لايناهض القرآن الكريم بل وجاء بعد هذه الآيات :

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ »

أفادت الآية إمكانية النفاذ من أقطار السموات والأرض .

إذا ماتوفر الإنسان العلم بما فى السماء وحساباتها والإمكانية التى يمكن أن يجد بها الوسيلة التى ترفعه إلى أعلى السماء وآن النجاح فى الغزو وإنما هو

محدود لاشك فإن الطبقات العليا القريبة من الشمس أوفى الكواكب البعيدة يقرر العلم أن بها من الشواظ مايمكن للإنسان أن يتجنبه وفى ذلك جاء القرآن :

« يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ »

فما يقول البعض من أنها يوم القيامة لايتناسب لأن يوم القيامة لاسموات ولا أرض بالنص الشريف :

« يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ »(١)

ثم أورد الأستاذ آيات من سورة الإنشقاق تؤيد ذلك منها :

« لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ »

وقد قرر العلم أنه لابد من وجود محطات فضائية ينتقل الإنسان إليها ومنها إلى الكواكب الأبعد ، وأنه لابد من اتخاذ القمر محطة .

انطلاق إلى هذه المحطات وتقرر الآيات التالية لذلك حقائق عجيبة إذ تقول :

« فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِم الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ »

أى إنه لغزو السماء سيرى الإنسان الآيات الدالة على وجود الله فكيف

---

(١) سورة الأنبياء ١٠٣

لا يؤمن بها الإنسان وبذلك فإن الإنسان لا يعارض غزو الفضاء بل يدعو إليه ولا يناقضه نزول الإنسان على القمر لأنه يشجع عليه ، فإن ذلك هو السبيل إلى أن يرى الإنسان آيات الله سبحانه وتعالى فى الآفاق بالنص الشريف :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حتى يتبيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شهيد »

من آيات الله تعالى

كلما تقدم العلم الحديث تتجلى آيات الله تعالى فى الآفاق ، وفى أنفسنا .

نقلت إلينا صحيفة الأخبار فى تاريخ ٢٥ يوليه سنة ١٩٦٦ عن عالم الأفلاك كلمة تحت عنوان (كارثة فلكية تهدد الأرض) وهى ١٠٠٠ قنبلة (ه) فى الطريق إلينا .

تنبأ أمس البروفسيور ميلر أستاذ علم الطبيعة النظرية بجامعة سيدنى باستراليا بأن نجما يسمى (إيكاروس) عرضه نحو ميل ، وله قوة انفجارية تعادل ١٠٠٠ قنبلة هيدروجينية سيصطدم بالأرض فى يونيو عام ١٩٦٩ ، وقال : إن المفروض أن يمر هذا النجم على بعد نحو أربعة ملايين ميل ، من أقرب نقطة له من الأرض ، ولكن الأمر لن يحتاج سوى تغيير ميكروسكونى فى مداره المرسوم ، ليضعه فى طريق الاصطدام بالأرض ، ويمكن أن تجره قوة جاذبية الأرض ، إلى هذا المدار المدمر ، وإذا حدث أن ارتطم هذا النجم بالغلاف الجوى الواق المحيط بالأرض ، فإنه يستطيع أن يمحو من الوجود مدينة فى حجم سيدنى ، وأضاف البروفيسور ميلر إنه رغم ضآلة فرص اصطدام هذا النجم بالأرض ، فإنه لا يمكن تجاهله ويعتمد العلماء أنه يمكن تحطيم هذا النجم بسفينة مسلحة قبل وصوله إلى الأرض بوقت طويل ، أو إطلاق صاروخ قوى عليه يبعده قليلا ، عن مدار الاصطدام بالأرض وجاء فى الأخبار ثانى يوم أعنى ٢٦ يوليه ١٩٦٦ : أن علماء الفلك

بالجمهورية العربية قرروا أنه لاخطر من اصطدام النجم (إيـكاروس) بالأرض .

وأعجب من هذا أن علماء الفلك ذكروا : أن من الكواكب ما يصل إلينا ضوءه فى ألف سنة ، وفى مليون سنة وقالوا أيضا : إن الضوء حينما يطلق فى الفضاء تـكون سرعته ثلثمائة ألف كيلو تقريبا فى الثانية فإذا تـكون تـكون سرعته فيما عدا ذلك فى الشهر والسنة وصدق الله :

« وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

قال تعالى : « يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(١)

كان الناس فى العصور الغابرة قبل أن تتأيد دولة للعلم الحديث يتعجبون من هذه الآية . ومثلها كمثل قوله تعالى :

« وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ »(٢)

---

(١) سورة النور ٢٤

سورة فصلت ٢١

ولا يزالون على ذلك حتى ظهرت آلات التسجيل التى تسجل الأقوال والأفعال فزال ما فى أنفسهم ، وعلموا أن الله على كل شىء قدير وأنه لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الأرض :

فعن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدْرون فيمَ أضحك قلنا اللهُ ورسولهُ أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه يقول يارِبِّ ألم تجرْنى من الظلم . قال يقول بلى قال فيقول فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا . قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقى . قال فتنطق بأعماله قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل رواه مسلم

من مكفرات الذنوب

التوبة النصوح : التى تظل مع صاحبها حتى ينقضى أجله .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "يا أيها الناس" توبوا إلى الله فإنى أتوب" فى اليوم مائة" مرة رواه مسلم

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فاتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح البخارى وغيره

ومعروف أن التوبه تكفر جميع الذنوب التى بين العبد وربه أما حقوق العباد فبأدائها أو العفو عنها

والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون(١)

قرآن كريم

نقلت إلينا صحيفة الأخبار بتاريخ ٢٥ يولية سنة ١٩٦٦ عن عالم الأفلاك كلمة بعنوان :

« كارثة فلكية تهدد الأرض ، وهي ١٠٠٠ قنبلة (ه) في الطريق إلينا .

تنبأ (أمس البروفسور نيكر أستاذ علم الطبيعة الفطرية بجامعة سيدنى باستراليا بأن نجما يسمى « إيكاروس » عرضه نحو ميل ، وله قوة انفجارية تعادل ١٠٠٠ قنبلة هيدروجينية سيصطدم بالأرض في يونيو سنة ١٩٦٨ » وقال : إن المفروض أن يمر هذا النجم على بعد نحو أربعة ملايين ميل من أقرب نقطة له من الأرض ، ولكن الأمر لن يحتاج سوى تغيير ميكروسكوبى في مداره المرسوم ليضعه في طريق الاصطدام بالأرض ويمكن أن تجره قوة جاذبية الأرض إلى هذا المدار المدمر ، وإذا حدث أن ارتطم هـــذا النجم بالغلاف الجوى الواقى المحيط بالأرض فإنه يستطيع أن يمحو من الوجود مدينة في حجم سيدنى وأضاف البروفيسور نيلو إنه رغم ضآلة فرص اصطدام هذا النجم بالأرض فإنه لا يمكن تجاهله ويعتقد العلماء أنه يمكن تحطيم هـذا النجم بسفينة مسلحة نووياً قبل وصوله إلى الأرض بوقت طويل .

---

(١) سورة الذاريات ٤٧ .

أو إطلاق صاروخ قوى عليه يبعده قليلا عن مدار الاصطدام بالأرض.

وجاء فى الأخبار ثانى يوم أمس ٢٦ يوليو سنة ١٩٦٦ ما يأتى : ـ

لاخطر من اصطدام النجم « إيكاروس » بالأرض .

أعلن ذلك علماء الفلك بجمهورية مصر العربية .

قام العلماء بدراسة المعلومات التى أعلنها « البروفيسور » نيلو الأستاذ بجامعة سيدنى باستراليا عن اصطدام النجم « إيكاروس » بالأرض عام ١٩٦٨ قال عبد الحميد سماحة مدير المراصد أن هذا الصدام غير محتمل لبعد المسافة بين النجم والارض .

وأعجب من هذا وذاك أن علماء الفلك ذكروا أن من الكواكب ما يصل إلينا ضوءه فى ألف سنة ، وفى مليون سنة ، وكذلك قالوا : إن الضوء حينما يطلق فى الفضاء تكون سرعته ثلثمائة ألف كيلو متر تقريبا فى الثانية ، فاذا تكون سرعته فيما عدا ذلك فى الدقيقة والساعة والشهر والسنة وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى الأرض ليـــلة المعراج كالحلقة الصغيرة فى الصحراء .

الجنس البشرى أكرم على الله من غيره

يبدو لنا أن الملائكة كانت تظن أن آدم وذريته أن خلقهم سيغلب شرهم على غيرهم لما فيهم من الغرائز البشرية التى تجردت منها الملائكة لهذا أخطأهم القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ » سوة البقرة ٣٠ — ٣٣

المعنى الاجمالى

إن الله تعالى خلق آدم وذريته ليكونوا خلفاء عن الله فى أرضه يظهرون آياته التى خفيت على الكثيرين من الملائكة ، ويجوز أن يكونوا خلفاء عمن كانوا قبلهم ، والله أعلم بمراده ، وكونه يجنح إلى الشر والفساد ليس من طبيعته وإنما كان ذلك من نوازع خارجية اتباع الهوى والشيطان فيزين له

سوء عمله فينخدع فيقع فى الشر قال تعالى : «وإن الشياطين ليوحون بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا» ، وهذا الشر ضئيل بالنسبة لما فيه من الخير لأن الخير منه أكثر من الشر وأقام عليهم البرهان القاطع والدليـــل الساطع بتعليم آدم مسميات الأشياء ومنافعها فعرضها آدم عليهم فعجزوا فأنبأهم آدم بمعرفتها وفوائدها فعلموا أن آدم آثره الله عليهم وأنه مستعد لقبول مالايتناهى من العلوم والمعارف ، مهيئا للحصول على مايجد من أنواع الكمالات ليكون ما وهبه الله من الاستعداد ملائما لقد رجاحته فى البقاء ، لأن مطالبه فى الحياة متعددة ومقاصده فيها مختلفة ، وأنها لاتقف عند حد ، ولاتنتهى إلى غاية ، أما الملائكة فعلومهم محدودة لاتتعدى ماخلقوا له وهذه العلوم من إلهـــام الله تعالى لهم ، يتجلى ذلك فى قولهم .

«سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»(١)

أما علوم آدم فإنها من طريق البحث والتنقيب والنظر الشديد والتفكير فيما خلق الله .

ومما فضل به آدم وذريته أنهم يعبدون الله مختارين بخلاف الملائكة فهم مفتورون عليها لايجدون فيها نصبا ولا يسأمون قال تعالى :

---

(١) سورة البقرة ٣٢

« وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ »(١)

كذلك مما امتاز به الإنسان على الملائكة أن صفات الله الحسنى وأسماءه العليا كالمعز والمذل والخافض والقابض والباسط والمعطى والمانع والعفو والمنتقم .

هذه الصفات لابد لها من متعلقات وتحقق وقد تحققت فى الإنسان وبدهى أن من العبادات لا يكون إلا بضدها ، فمثلا عبودية العتق لاتكون إلا بالرق وعبودية الصبر لاتكون إلا بالظلم والعدوان وعبودية الصدقة لاتكون إلا بالفقر ، وعبودية التوبة التى جعل الله أهلها فى مقدمة العابدين قال تعالى :

« التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ »(٢)

كذلك لاتكون إلا من التعريث .

لهذا لم يعجل الله تعالى العقوبة للمذنبين بل أمهلهم يستغفرون لذنوبهم أو يتوبون ، ومن رحمته أنه جعل للذنوب مكفرات : منها فعل الحسنات ، ومنها المصائب ، وكذلك التوبة وإنما تكون فى حق الله ، أما حق العباد فلا يقبل إلا بأحد شرطين إما عفاء صاحبها أو بالأداء .

---

(١) يستحسرون : لا يكلون من العبادة سورة الأنبياء ١٩ .
(٢) سورة التوبة ١١٢

مقومات الإنسان

للإنسان مقومات لابدمنها فى بقائه وتحقيق شخصيته ، ولولاها لما كان الإنسان إنسانا ولما عاش هذه الأزمان المتعاقبة وتلك الدهور المتتابعة غير أن تلك الغرائز تارة تتعدى طورها وتتجاوز حدودها فتكون شرا لهذا جاء الشرع الشريف فوضع لها نظاما ينظمها وحاجزا يحجزها عن التورط فيما لايحل ولا يجمل، فالشرع يحترمها ولا يعطلها ، وإنما يمنعها عن الوقوع فى الشر .

فالغريزة الجنسية وهى أقوى الغرائز وأعنفها وهى تلح على صاحبها ، وإنما فى إيجاد مجال لها ، فإ لم يكن ثمة ما يشبعها انتاب الإنسان الكثير من القلق والاضطراب ونزعت إلى شر منزع .

والزواج هو أحسن وضع طبيعى ، وأنسب مجال حيوى رضاء الغريزة وإشباعها فيهدأ البدن من الاضطراب ، وتسكن النفس عن الصراع ويكف النظر عن التطلع إلى الحرام ، وتطمئن العاطفة إلى ما أحل الله .

هذا وإنى أخشى على هؤلاء العلماء أن يتملكهم الغرور فيفكروا فى الوصول إلى ربهم ويرونه واهمين بأن الله تعـالى خلقه فى أنه مادى يرى بالحواس التى لا تدرك إلا المادة والله تعالى فوق المادة ، وإذا كانت الملائكة وأرواحهم لاتدركهم الحواس فكيف بالله تعالى خالق عالم الأرواح . وإذا ثبت أننا نرى الله تعالى يوم القيامة فإنما يكون بخلق حاسة أخرى نراه غير هذه الحواس التى لاتدرك إلا عالمها فقط .

وها هو ذا موسى كليم الله تعالى طلب إليه سبحانه أن يراه مع أنه يكلمه مشافهة فأيأسه الله تعالى من رؤيته بأن الجبل لا يقف أمام نور الله تعالى فكيف بمن كان لحما ودما ، يتجلى ذلك فى قوله تعالى .

« وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ، فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١) »

فها هو ذا الجبل اندك فى الأرض من قبس نور الله تعالى الذى ظهر له فعلم موسى أن رؤيته تعالى محال وتاب إلى الله تعالى من السؤال لرؤيته :

---

(١) سورة الأعراف ١٤٣

حقيقة الموت

الموت هو انسلاخ الروح من الجسم الذى تديره ، فتسخر كل عضو من أعضائه فيما خلق له : « العين للإبصار ، والأذن للاستماع ، واليد لتناول الأشياء وهكذا . فالموت يقطع هذا الاتصال ويبطل هذا التصرف فكل ما كان للروح بوساطة الأعضاء تعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد فى البعث ، وأما ما كان للروح من غير هذه الأعضاء فإنه يبقى لها بعد موتها ، لهذا نعلم حقيقة الأشياء بنفسها من غير هذه الأعضاء فننعم ونفرح ونحزن ومن هذا جاء الحديث قال صلى الله عليه وسلم « القبرُ إما روْضة من رِياض الجنةِ أو حُفْرةٌ مِن حُفَـر النار » وهذه الحياة حياة روحية أو حياة برزخية وأما حياة البعث التى ستأتى بعد انتهاء الدنيا فإنها حياة روحية ومادية جسدية فيها تجزى كل نفس بما كسبت ويعوض المحروم مافقده فى حياته ويقتص المظلوم من ظالمه قال تعالى :

« وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (١) »

فالموت فى الحقيقة ليس موت الأبد أو نهاية لكل حى بل انتقال من طور إلى طور أو من دار عمل إلى دار جزاء قال تعالى :

« يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ (٢) »

« فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ (٣) »

(١) سورة إبراهيم ٤٢ (٢) سورة النور ٢٥ (٣) سورة التين ٧ ، ٨

الذين فى هاتين الآيتين معناه : الجزاء قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : أيُّها الناسُ إنما خلقتمُ للأبد فاعملوا للأبد وما أحسن ماقيل : خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد .

ثم إن هذه الدار التى خلقنا لها هى دار قرار كما جاء فى القرآن الكريم عما قاله مؤمن آل فرعون لقومه :

« يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ »(١)

وكذلك تسمى دار السلام قال تعالى : « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ »(٢)

نعم هى دار السلام لسلامتها من الأكدار والأحقار هذه هى الدار التى خلقنا لها ولم نخلق لهذه الحياة القصيرة التى أولها عناء ووسطها بلاء وآخرها فناء .

حاش لله أن يجعل الإنسان الذى هو أشرف مخلوقاته وجعله خليفة فى أرضه وخلقه بيديه وأمر الملائكة أن تسجد له أن يكون أشقى من الحيوان البهيم الذى لايجدهما فى حياته ولا يحزن على مافاته لأنه ليس له عقل كما فى الإنسان ويأكل أكثر مما يأكل الإنسان (٣) والحشرات التى تسافد وتتمتع

---

(١) سورة غافر ٢٩ (٢) سورة يونس ٢٥

(٣) وأتعس حظا من بعض .

فى الناحية الجنسية أكثر مما يتمتع به الإنسان لأن تمتعها غير محدود بخلاف الإنسان ، وهذه السلحفاة تعيش أكثر من ثلثمائة سنة والإنسان إذا وصل إلى ثلث هذا العمر تنقلب حياته جحيما ، ويمل الحياة ويمله الناس ، ولو كانوا من أحب الناس إليه ولهذا استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد إلى أرذل العمر ولو كانت الحياة منتهى ما للإنسان فى الوجود لكان الخلق عبثا يقرر ذلك القرآن الكريم فى أبلغ عبارة فيقول :

« أَفَحَسِبْتُمْ(١) أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »

وهل يستوى المحسن والمسيء فى العدل الإلهى والصالح والطالح كلا لقد استبعد القرآن الكريم فى آيات كثيرة منها :

« أَفَنَجْعَلُ(٢) الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »

ما أعظم العبرة وأبلغ العظة ، إن الموت طالب لايعجزه هارب . ولا يفوته مقيم ، وليس عنه محيص ياسبحان الله ما أغفل الناس عن لقاء ربهم الخائف فيهم مقصر ، والراجى متوان فلا تعد .

خليق بكل مسلم أن يمزق حجاب الغفلة ، فيفيق من غفلة الماضى الدابر ، ويفتح عينيه على الواقع منه فيعتبر بمن سبقونا بالرحيل إلى ربهم فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت عنهم الأسباب ، فلا يجيبون داعيا ولا يسمعون

---

(١) سورة المؤمنون ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة القلم ٣٥ ، ٣٦ .

ضجيجا ، وكأنهم قيل لهم هذا يوم لاينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون » .

لله ما أصدق نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم : عجبتُ لطالب الدنيا والموتُ يطلبهُ ، وعجبتُ لغافلٍ وليس بمغفولٍ عنه ، وعجبت لضاحكٍ ملء فيه ، ولا يدْرى أرَضى عنّه أم سخط لابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الإيمان ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، وقال أيضا : كفى بالدهر واعظاً وبالموت مفرقاً رواه ابن السنى .

فيالها حسرة على كل ذى غفلة ؟ أن يكون عمره عليه حجة وتؤديه منيته إلى شقوة - ومن أعظم العبر أن المصائب فى الدنيا إذا عمت هانت وصارت مسلاة ومأساة للأحزان ، أما فى الآخرة فلا تخفف المصائب قال تعالى :

« وَلَنْ يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ »
سورة الزخرف ٣٩

وتقول المرأة العربية : ولولا كثرة الباكين حولى على إخوانهم لقتلت نفسى ، وما يكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنهم بالتأسى » .

ورحم الله القائل :

يانفس ماهى إلا صبر أيام كانت مدتها أضغاث أحلام
يانفس جوزى عن الدنيا مبادرة وخل عنها فان العيش قدام

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « يانبىَّ الله من أكيسُ الناس وأحزمُ الناس ، قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأكثرهم استعداد الموت ، أولئك الأكياس الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » .

وعنه أيضا قال : أكثروا من ذكر هازم اللذات ، يعنى الموت » رواهما الطبرانى .

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

ومما جاء فى الكتب السابقة : ينبغى على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، وفى رواية : وساعة يفضى بها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، ويصدقونه عن نفسه .

بقى علينا شيئا طالما سأل عنها الكثيرون : أولها : ما حكم موت الفجأة والجواب عنها ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم : « موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر » رواه أحمد وغيره .

السؤال الثانى : ما معنى الحديث الذى رواه أهل السنة : « المؤمن يموت بعرق الجبين » .

الجواب : يحتمل معنين : المعنى الأول : أنه يموت وهو ينصب ويكد فى طلب العيش ليعول نفسه وأهله ، فلا يكون عالة على الغير هو ومن يعوله والمعنى الثانى : أنه يعانى من سكرات الموت وشدته مايتصبب منه العرق وجاء فى قطعة من حديث البخارى ما يأتى : (وماتردَّدْتُ فى شيء أنا فاعِلهُ تَرَدُّدِى فى قَبْضِ نفسِ عبدِى المؤمن يكْرَهُ الموتَ وأكْرَه مساءتَه) ولا بدَّ لهُ منه .

المعنى : رَدُّ الله تعالى فى هذا الحديث : كناية عن رحمته وحكمته ،

« أَيَحْسَبُ(١) الإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ، بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ، بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ »

مابعد الموت : إن المؤمن ينكشف له عند الموت من سعة جلال الله تعالى ماتكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن المظلم ، ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب واسع الاكتاف فيه أنواع الطيور والثمار وجداول الماء والأشجار ، فلا يشتهى أن يعود إلى السجن كما جاء فى الحديث الشريف قال صلى الله عليه وسلم : « إنّ مثل المؤمن فى الدُّنيا كمثل الجنين فى بَطْن أمه ، إذا خرجَ من بطنها بكى على مخرجه ، فإذا مارأى الضَّوء لم يحبُّ أن يرْجعَ إلى مكانه كذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا ماأفضى إلى ربه لم يحب أن يرَجع إلى الدنيا كما لايحبُّ الجنينُ أن يرجع إلى بطن أمه .

لهذا يفرح المؤمن إيماناً حقاً بالموت لأنه سيجد من رضوان الله تعالى وسعة رحمته والإجتماع بالأهل والأحباب ماتقر به عينه ، وقد سمع بلال مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم أخته تقول :

وهو فى مرض الموت واحسرتاه فرد عليها وقال بل وافرحتاه غداً ألتقى بالرسول وأصحابه وياعجبا لهؤلاء الذين نسوا لقاء ربهم ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فراحوا من الدنيا آسفين لاهين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وكانوا خاسرين : ولو أن هؤلاء تأملوا قليلا لوجدوا ساعة حزن فى ساعة الموت أضعاف سرور فى ساعة الميلاد .

---

(١) سورة القيامة ٣ و ٤

فهو يتألم بالموت ، والرحمة تقتضى عدم تألمه والحكمة تقتضى الموت ، لأنه بالموت يقرب من ربه ، وينال رضوانه ، وطول الحياة يرده إلى أرذل العمر وينكس خلقه ، فتكرهه الناس ، ويمل الحياة .

ولهذا استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم .

وبرحم الله القائل : جزى الله الموت عنا كل خير
فإنه أبر بنا من كل بر وأعطف
يعجل تخليص الذنوب من الأسى ويدنى إلى الدار التى هى أقرب

ومن رحمة الله تعالى أنه لا يجمع على عبده خومين وأمنين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ماحقُّ امرىءٍ مسلم يبيتُ ليلتين وله شيءٌ يريد أن يوصىَّ فيه إلا ووصيتهُ مكتوبةٌ عند رأسه » رواه البخارى عن ابن عمر

« أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ(١) »

فإذا لم يكن هناك يوم للجزاء ، فما جزاء الذين قضوا حياتهم فى طاعة الله وخدمة الإنسان وراحوا من الدنيا وحاجاتهم فى صدورهم ، ولم ينالوا جزاءهم من هذا وذاك نعلم علما لاشك فيه أن الإنسان ماخلق للدنيا الفانية، وإنما خلق للدار الباقية قال تعالى :

---

(١) سورة (ص) ٢٨

إذن فمن السفاهة : أن يفرط الإنسان فى الحزن على فقيده وهو لاحق بربه ثم إن الحزن الطبيعى الذى لم يكن فيـــه جزع لاضرب خدود ولا شق جيوب ولا نوح ولا دعاء جاهلية لايحاسب عليه الإنسان لأنه طبيعى كذلك دمعة مثل الحزن وقد دمعت عين الرسول على موت ابنه إبراهيم فلما سئل عن ذلك قال إن العينَ تدمعُ والقلبَ يحزن ولا نقول إلا ماير ضى ربنا وإنا لفراقك ياابراهيم لمحزونون

وقد دمعت عينه صلى الله عليه وسلم على أحد أصحابه فلماسئل قال : هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباد عباده ثم إن الشكوى من المصيبة لاتكون إلا لله وحده قال يعقوب عليه السلام أشكو بثى وحزنى إلى الله :

البث : هو الحزن الذى لايمكن كتمانه قال على كرم الله وجهه : « ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل وحساب ، وغدا حساب ولا عمل ، ورحم الله من قال : إن أهل هذه الدار فى سفر لايحلون عند الرحال عنها إلا فى غيرها ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ماليس براجع إليه ، وأقام معك من ليس يظن معك واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمسى عظة وشاهد عدل لجمك بنفسك وأبقى لك أو عليك حكمته ، واليوم غنيمة وصديق أتاك لم تأته طالت عليك غيبته وسقسرع عنك رحلته ، وغدا لاتدرى من أهله وسيأتيك إن وجدك .

فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفروع بعد الأصول؟ واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلق

وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله . قال صلى الله عليه وسلم : « لو تعلم البهائم ومايعلم ابن آدم من الموت ماأكلتم منها سميناً قط ، ومن هوان الدنيا على الله تعالى أنها لاتعطى شيئا إلا لتأخذه قابلا ، ولا تهب إلا تسترد فهى تكيل لنا كيلا بكيل وصاعاً بصاع ويرحم الله الأديب إذ قال : أبدا تسترد ماتهب الدنيا فياليت جودها كان بخلا والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبقى علينا ويأتى رزقها رغدا ما كان من حق امرىء أن يهيم بها كيف وهى متاع يضمحل غداً .

رقــدة يستريح الجسم فيها
والعيش مثل السهاد ـ السهاد : الأرق

فاقضوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفر من الأسفار
فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

كذلك من هوانها على الله تعالى أنه حمى عباده المرسلين والمصلحين منها حتى لايشغلهم نعيمها عما يقومون به إصلاح ، ولأن الترف كثيرا مايوقع صاحبه فى الهلاك وقديما قيل :

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أى مفسدة والجدة : الغنى

متاعك يادنيا غرور زخرف ولهو بمن يبكى الحياة ويسرف
سحابة صيف ليتها فى هناءة وطيف خيال فيه ابليس
جفنة آلام ونكبه خاطر وبحر هموم كلنا فيه يرشف

وأنصح لمن تتقلب عليه خواطر الدنيا أن يجعل هذا البيت نصب عينيه وهو :

يانفس ماهى إلا صبر أيام كانت مدتها أضغاث أحلام

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ونال من الدنيا سرورا وأنعما ركسبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ماقد بناه تهدما .

قال الحسن البصرى رضى الله عنه : « مارأيت يقينا لاشك فيه أصبح شكا لايقين فيه من الموت من يقيننا به وعملنا لغيره ، نعم إن غفلة الناس عن الموت الذى لايشكون فيه فأخذوا يعملون لغيره لمن أعجب العجاب ، فإن الموت طالبا لايعجزه هارب ، ولا يفوته مقيم ، وليس عنه محيص ، يلهو الإنسان ويلعب والموت لايلعب ويسرح ويمرح والأيام تمضى والأعمار تنقضى والأجسام تحت الثرى تبلى ، والأحداث تتتابع ، والوقت لا ينتظر والرب لايعذر كأن الموت على غيرهم قد كتب وكأن ما يسبقون من الأموات فى سفر عما قليل إليهم راجعون ، يسكنون فى مساكنهم ، ويمشون فى شوارعهم ، ويأكلون من تراثهم ولا يعتبرون بهم ، وبينما القوم يؤملون مالايدركون ، وإذا بالموت ينزل بهم من حيث لايشعرون ،فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ، ياسبحان الله لقد نغص الموت على أهل الدنيا ماهم فيه من حضارة ورفاهية فبينما هم كذلك وإذا بريب المنون يخرجهم عما فيهم فلا تنفعهم شفاعة الشافعين ، ولا توبة التائبين فالويل ثم الويل لمن لم يعد للموت عدته ، أفلا يعتبرون بالذين سبقوهم بالرحيل إلى ربهم فنهم من هو فى نعيم مقيم ومنهم من هو فى عذاب أليم ، فلا الدهر يعظهم ولا الأيام تنذرهم ، ولاالشيب يزجرهم والساعات تمضى عليهم ،

والأنفاس تعد منهم ، وإذاكانت الأنفاس تعد فما أسرع ماتمضى الأيام ، وتفنى الأعمار ، إنها لحسرة على كل ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وتؤديه ميتة إلى شقوة قال أبوذر رضى الله عنه . قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام قال : كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لايعمل) رواه ابن حبان .

وصدق القائل :

لو كان للمرء فكر فى عواقبه ما شان أخلاقه فى حرص ولاطمع
يا أيها السادر المزور من صلف مهلا إنك بالأيام منخدع
إن الحياة لثوب وسوف تخلعه وكل ثوب إذا مارث ينخلع

معنى المفردات

(السادر) : الذى لايهتم بالأمور (المروز : المعزور (الصلف : الـكبر قال تعالى :

« يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ »(١)

(١) سورة لقمان ٣٣

المعنى الإجمالي : خافوا أيها الناس الله تعالى واخشوا يوم الجزاء لايغنى والدعن ولده ولا ولد عن والده شيئا وإنمـــا هو العمل قال تعالى :

« لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ »(٢)

إن وعد الله حق فلا تشغلنكم الفانية عن الباقية ، ولا يضلنكم الشيطان فإن الله وعدكم وعد الحق وأنه سيجزى كل نفس بما كسبت قال تعالى :

« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ »(٣)

الخردل : نبت صغير الحب يضرب به المثل فى الصغر .

متاعك يادنيا غرور وزخرف ولهو فن يكن الحياة ويسرف .

وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : من أكيس الناس وأحزم الناس قال : أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم استعدادا للموت أولئك الأكياس الذين ذهبوا بشرف الدنيا،وكرامة الآخرة وقال أيضا : أكثروا

---

(١) سورة الممتحنة ٣

(٢) سورة الأنبياء ٤٧

من ذكر هازم اللذات — حقا إن العاقل هو الذى لا يغتر بنعيم الدنيا فتشغله عن العمل للحياة الدائمة : فليذكر الموت ويستعد لما بعده فيلقى ربه بقلب سليم فيحظى برضوان الله والسعادة الأبدية .

ومن هؤلاء : لبيد بن ربيعة الذى عمر فى الإسلام أكثر من أربعين سنة وحفظ القرآن الكريم ولم يقل بعد إسلامه إلا بيتا واحد ، قيل : الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى حتى كتسبت من الإسلام سربالا ويقال أنه قال : عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح وكان رحمه الله من أكبر المعمرين حيث عاش مائة وثلاثين سنة .

ومن شعره :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولابد يوما أن ترد الودائع

وعنه أيضا :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول ... أنحب فيقضى أم ضلال وباطل
أرى الناس لايدرون ماقدر أمرهم ... بلى كل ذى نسب إلى الله واسل

المعنى الإجمالى : السؤال بمعنى الاستفهام أو المحاولة ، استعمال الحيلة والنحب النذر الراسل الطالب والراغب إلى الله ـ أرى الناس لايعرفون ماهم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها وأنها لاتبقى على أحد فاغتروا

بها وباعوا حظهم من الآخرة بها فاستبدلوا الباقى بالفانى والكثير بالقليل قال تعالى :

« وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ »(١)

« قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً »(٢)

---

(١) سورة القصص ٦

(٢) سورة النساء ٧٧

الموت على إثر حادث

إذا مات الشخص على إثر حادث فجائى يفرط أهله فى الحزن ، ويجزعون أشد الجزع ويرددون القول : لو كان كذا لكان كذا وهذا جهل فادح إذ أن لكل إنسان أجلالا يعدوه ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والموت واحد قال تعالى :

« أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ »(١)

أى حصون مرتفعة لايوصل إليها إلا بمشقة شديدة وفى غزوة أحد قتل بعض الصحابة فيها فقال الناس لو لم يخرجوا من بيوتهم للجهاد لما قتلوا فرد الله عليهم فى قوله :

« قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ »(٢)

المعنى : قعودهم فى بيوتهم لايحميهم من القتل ولو كانوا فى بيوتهم لأخرجهم أجلهم إلى ساحة الموت قال تعالى :

« قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »(٣)

---

(١) سورة النساء ٧٨
(٢) سورة آل عمران ١٥٤
(٣) سورة الجمعة ٨

وقال الشافعى

ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء وهذا خالد بن الوليد فاتح بلاد الشام قضى حياته فى الحرب ولما حضره الموت أسف على موته على فراشه لأنه كان يتمنى أن يقتل شهيدا وقال : أحارب فى الجاهلية والإسلام وأموت على فراشى ، لانامت أعين الجبناء .

عظة القبر

شرعت زيارة القبور للعظة والاعتبار فهى تنبه الغافل وتوقظ النائم ، وتزيد المتنبه تنبيها فيعتبر بالذين سبقوه بالرحيل إلى ربهم ، فزالت عنهم الدنيا وانقطعت عنهم الأسباب ، وهم فى صمت رهيب لايجيبون داعيا ، ولايسمعون صجيجاً اتخذوا من التراب أكفانا ومن الأحجار وسادا ، ومن العظام جيرانا استبدلوا بظهر الأرض بطنا وبالنور ظلمة وبالآل غربة خرجوا من الدنيا يوم مادخلوا منها حفاة عراة أغنياء عما تركوا فقراء إلى ماقدموا طفقوا بأعمالهم فى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يتمنون أن تكون لهم الدنيا بأجمعها فيفدون أنفسهم بها قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ »(١) .

المعنى : وظهر لهم من الله مالم يخطر ببالهم من سيئات أعمالهم ولو أذن لهم ينطقوا لقالوا : إن خير الزاد التقوى ـ رحم الله عثمان بن عفان رضى الله عنه كان إذا ماوقف على قبر يبكى حتى تبل لحيته فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى فيقول إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الزمر ١٥

يقول : القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه : أنكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منقوصة وأعمال محفوظة والموت يأتى بغتة فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة ولكل زارع ما زرع وقال صلى الله عليه وسلم : (لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت أنفسكم منها ، وقد مرت جنازة على الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : مستريح أو مستراح منه فسألوه عن المستريح والمستراح منه فقال : العبدُ المؤمنُ يستريحُ من تعب الدنيا ، والعبدُ الفاجر يستريح منه العباد .

هذا ولما كان الإنسان مكونا من جسم وروح وكل واحد منهما له مقومات أودع الله فى الإنسان وازعا لكل واحد منهما ليقيمه ولحفظ التوازن بينهما فلا يطغى أحدهما على الآخر فيختل توازنه فلا يكون إنسانا بالمعنى الصحيح ـ أمر الله سبحانه وتعالى أن ينقطع الإنسان عن المادة فى فترات ويتصل بربه بالذكر القلبي وهو التفكير فى خلق الله والذكر اللسانى وكذلك شرع الصيام والصلاة والنسك وحضور الجماعات والوعظ والإرشاد حتى لا يطغى حب المادة على حب الروح فلا يفكر إلا فى الشهوات الجسمية فيرتكب كل دنيئة وكل فعلة وحشية فيخرج من الدنيا مفلسا لم يقدم شيئاً إلى العالم الذى خلق له ، يالها حسرة على كل ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة وتؤديه مبنيته إلى شقوة ، وليتها حسرة محدودة بسنين معدودة ، ولكنها حسرة الأبد قال الله تعالى :

«قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ»(١)

والكثير من الناس طغت عليه المادة فأنسته نفسه وواجبه نحو ربه ونحو أهله وبنى جنسه وليت هذا الأمر وقف عند هذا الحد بل تجعل الحياة جحيما وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً .

قال صلى الله عليه وسلم (من كانت الآخرةُ همَّهُ جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له ، وما أمر الإنسان لاستماع الوعظ الدينى إلا لمحاربة الأنانية وطغيان المادة التى تحرم صاحبها لذات الدنيا لأنه يجعل همه فى جمع المال فلا يتمتع به بل يتركه لغيره صدق الله :

«فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»(٢)

من هذا يتبين أن القصد من زيارة الأموات مسلمين أو كافرين صالحين أو غير صالحين ترقق القلوب القاسية وتذكر الآخرة ولكن الكثيرين يتهافتون على زيارة الصالحين ويتركون غيرهم فتراهم يفزعون إليهم فى الشدائد ويلجئون إليهم فى قضاء الحوائج وهذا ما حذر منه القرآن الكريم وتتابعت فى التحذير منه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد ضرب الله مثلا

(١) سورة الزمر ٤٧
(٢) سورة الحج ٤٦

لهؤلاء الذين يستنجدون بالأولياء ويدعونهم من دون الله فقال سبحانه :

« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(١)

وقد كان قوم يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ليقربوهم إلى الله فأنزل الله في شأنهم قوله تعالى :

« قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ وَلاَ تَحْوِيلاً ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً »(٢)

أفادتنا هاتان الآيتان أنه لايدعى في كشف الضر ، وجلب النفع إنما هو الله وحده ، وأن ماتدعونهم من دون الله من ملائكة وأنبياء وصالحين لايجوز لأنهم متفقرون إلى الله وفى حاجة إلى مايقربهم إليه سبحانه من صالح الأعمال وهم لايزالون يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، وإذا كانوا لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا فكيف يملكون لغيرهم قال تعالى :

« وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ »(٣)

---

(١) العنكبوت ٤١ (٢) الاسراء ٥٦،٥٧

(٣) يونس ١٠٧

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ »(١)

فالاستعانة بغير الله شرك فى غير الأسباب المسخرة للبشر ، أما الأسباب المسخرة فإنها مأمورون بها ودنيانا قائمة عليها كالتداوى والسعى فى طلب الرزق فإنها من الأسباب التى أمرنا بها قال تعالى .

« هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ »(٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « تداووا فإن لكل داء دواء فإذا صادف الدواء الداء برأ بإذن الله تعالى وعلى هذا من يطلب الرزق والشفاء من غير الله تعالى فقد أشرك ، وكيف نستعين بغير الله ونكرر قوله تعالى فى اليوم مرات . « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »

قال الشافعى :

من استعان بغير الله فى طلب فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان

وقال سبحانه .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ »(٣)

(١) الفرقان (٢) سورة الملك ١٥ (٣) سورة الحج .

كل نعمة قدر الله فيها المصيبة قبل خلقها

قال تعالى :

« ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ »(١)

المعنى :

نعم الحياة الدنيا المال والحياة : والمال منشأه من الأرض والحياة الشخص وكل منهما قد قدر الله فيهما قبل وجودهما الفقد والحرمان .

أما المال فيستولى عليه الوارث أو محن الأيام وحوادث الزمان وتلك مصيبة فانه سيخلف الدنيا وراء ظهره ويرد إلى مولاه الحق فردا كما خلقه أول مرة وكذلك نعمة الحياة وكل نفس ذائقة الموت .

إذن فخليق بكل عاقل يعلم أن نهاية كل نعمة الفقر والحرمان ألا يأسف على مفقود ولا يفرح بموجود لأن المصيبة فيهما فى انتظاره وكل يوم يقترب منها ، كل ماهو آت قريب ، ولا بعد لما هو آت . تجلى هذا المعنى فى ختام الآية الشريفة :

---

(١) سورة الحديد / ٢١ / ٢٢ .

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ »(١)

والقصد من الحزن والفرح هنا : الخارجان عن حد الاعتدال لأن الحزن الشديد يؤدى إلى الجزع ، والفرح الشديد يوجب البطر والتكبر وعدم شكر النعمة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان حينما ماتت زوجته : (ياعثمان ليست زوجتك أول حى يموت الناس كلهم للفناء لأنهم بدئوا من تراب ، ولابد أن يعودوا إليه فلا تذهل هذا الذهول وتنسى مايجب عليك لله والناس .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يَرُدُّ القدر إلاالدعاء ولايزيدُ فى العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه رواه الترمذى وغيره .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يفقه من قرأ القرآن فى أقلّ من ثلاثٍ أبو داود وغيره .

---

(١) سورة الحديد ٢٣

كيف نكرم الميت

واجبه أن يحوله إلى القبلة بأن يلقيه على ظهره ، ويجعل قدميه إلى القبلة حينما تظهر عليه علامات الموت ، ويلقنه كلمتى الشهادة : لا إله إلا الله محمد رسول الله برفق ومن غير إلحاح ولا مانع من قراءة سورة يس عند الاحتضار فقط ، فاذا ماصعدت الروح إلى خالقها يغمض عينيه وتطبق فكيه على بعضهما وتربطهما برباط قائلين باسم الله وعلى ملة رسول الله ثم تعلن أقاربه وأصحابه ليشهدوا جنازته ويصلوا عنه وبعد غسله نكفنه فى كفن شرعى أكمله للرجل ثلاثة أثواب بيض وأقله ثوب يستر عورته وأكمله للمرأة إزار وقيص وخمار ولفافتان ونتعهد بأداء دينه لأصحاب الدين ويكون من ماله فاذا لم يكن له مال يجب على الأبناء سداده لأن بر الأبناء واجب فى الحياة والممات وهذا من البر وسواء كان الدين حقا للخالق أو المخلوق لحق الخالق كالنذر والكفالات والحج والزكاة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ماأتى بميت عليه دين سأل : هل ترك قضاء فإن حدث بأنه ترك يصلى عليه وإلا قال لأصحابه صلوا على صاحبكم ، الحديث فى مسلم .

ولما فتح الله عليه بالمال وصارت جزيرة العرب تحت يده كان يؤدى دين كل مسلم وقد جاء عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعاً فإلى وعلى ، ومن الواجب للميت أيضا تنفيذ وصيته وإذا كانت فى المال تنفذ فى الثلث على شرط أن تكون الوصية موافقة للشرع فلا تنفذها إذا كانت فى أمر مبتدع

كالتكفين فى الحرير وزخرفة القبر أو بناء قبة أو مقصورة على القبر .

فإذا وصى بشىء من هذا ننفق ماوصى به على الفقراء أو فى مشروع خيرى ، وقد صح الحديث أن رجلا قال : يارسول الله هل بق من بر أبوى شىء أبرّهما بعد موتهما فقال : نعم الصلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التى لاتوُصل إلا بهما وإكرامُ صديقهما والقصد من الصلاة : الدعاء وكان صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة ويوزع اللحم على صديقات السيدة خديجة رضى الله عنها .

وليس من الوفاء للميت زخرفة القبر أو رفعه أو بناء قبة فوقه أو مقصورة مهما كانت منزلته لأن الرسول صلى الله عليه وسلم منع ذلك: للصالحين وغير الصالحين كذلك نصب السرادقات وغيرها لاتنفع الميت فى شىء ولا الحى .

محاضرة فى حقيقة الإسلام

أستهل حديثى بحمد الله وأصلى وأسلم على خاتم رسل الله وبعد - فلما وجدت الكثير من الناس لا يفهمون من الإسلام إلا اسمه ، وأن هذا الإسم قاصر على الدين الذى أنزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رأيت من واجبى أن أجلى هذا الموضوع للسامعين والقارئين حتى يعلموا حقيقة الإسلام فأقول : يقص علينا التاريخ بكل خجل وحياء أن الإسلام منذ وجد ولد معه خصومه ولا يزالون يكيدون كيدا فى كل زمان ومكان يتهمونه بالجمود ولا بأتلف والعصر الحديث لأنه تخلف عن ركب الحضارة الجديدة هذا قولهم بأفواههم ، وأما مايقوله التاريخ الذى هو أكبر شاهد وأصدق دليل : أن النهضه الحديثة والحضارة الجديدة فى الغرب قد وضع أساسها المسلمون ، وأن دينهم دين كفاح وعمل ، وقانون أدبى ، ومنهاج للحياة الصحيحة ، يعطى كل نفس حظها ولكل غريزة حقها مالم تخرج عن طورها وتتعدى حدودها ، وهل شرع الله الشرائع إلا لتنظيم وبيان حدودها ، وهو يرحب بكل جديد مالم يكن فيه ضرر أو تأثيم كما قال صلى الله عليه وسلم : (كل واشرب والبس وتصدق فى غير سرف ومخيلة ؟ ويبعث فى روح الناس القوة والبطولة ولا يضيق ذرعا بكل بكل مايجلب نفعا أو يدفع ضررا كما أنه يضمن للعاجز العيش ، وللعاطل العمل ، وللمريض الصحة وللعالم كله أمنا وسلامة لأنه دين أمن وسلام ومودة وإخاء ، لا دين حرب ونزال ، كما يقول المبطلون ، وإنما كانت حروبه

حروب إصلاح وتأديب تهدف إلى تأمين الدعوة والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها حتى لا يخشى من يريد الإسلام الفتنة على دينه ، ولا يجنح للشدة إلا عند نكث العهود ، أو إذا انتهكت حرمات الله ، نعم إنه دين حرب على البطالة والكسل ، وعلى التواكل ، وأما الأمر بالتوكل عليه تعالى فمعناه أن الإنسان إذا عزم على أمر وأعد له عدته لا يغتر بحوله وقوته وإنما يكل إلى الله تعالى أمر نجاحه فيما عزم عليه ويعتمد على حوله وقوته سبحانه ، فإن عوائق النجاح كثيرة لا يحيط بها إلا سبحانه ، وهو القادر وحده على إزالتها من طريق من توكل عليه إن الله يحب المتوكلين وقد تتابعت آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة في الحديث على العمل والأجر عليه ، منها قوله تعالى :

« لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ »(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » كشفت لنا الآية الكريمة عن سنة من سنن الله تعالى التي أقام عليها الوجود ـ أن من سعى للدنيا فأحسن سعيه ، وأتقن عمله ظفر بنعيمها ونال حظه منها حسنت علاقته بربه أم ساءت ولقد فهم المسلمون ذلك فكدوا وجدوا فأسسوا دولة الأندلس في أحشاء أوربا لا يدانيها مدان وحشدوا إليها علوم الشرق كله بترجمة كتبهم حتى كانوا يجعلون ترجمة الكتاب زنته ذهب في عهد الدولة العباسية من الفارسية واليونانية والسريانية ، والقبطية وغيرها من بلاد العالم .

---

(١) سورة النحل / ٣٠

من تلك العلوم : الكيمياء والطبيعة ، والطب والصيدلة والجغرافيا والزراعة والورق والسكر والخزف وتركيب الأدوية ودبغ الجلود ونسج كثير من المنسوجات .

هذه العلوم حشدها المسلمون فى الأندلس ما كانت أوربا تسمع بها ولقد كانت إذ ذاك فى جهل مطبق وفقر مدقع وقد اقتبسوها من بلاد الأندلس التى أنشأها المسلمون فقامت حضارتهم عليها وإن من الجحود الآثم ألا يعترف بها الأجانب ، وينكروا هذا الفضل الذى لولاه لظلت أوربا فى جهلها وتغط فى نومها وصدق الله

« إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ، وَإِنَّهُ عَلَى ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ »(١)

قال الفيلسوف الانجليزى « برينولت » إن الشرارة العلمية التى سارت إلى الحضارة الغربية لم يكن مبعثها اليونان، ولا الرومان . ولا الشمال الشرقى، وإنما مبعثها العرب ، وقد أطبق المؤرخون على أنه لم يمض على الإسلام قرن ونصف قرن حتى كان علم الإسلام خفاقاً ما بين الأندلس غرب أوروبا إلى الهند والتركستان إلى الصين وشرق أوربا حتى كان الشام والعراق وفارس ، وأفغانستان قد أسلم جميعها ، وكانت مصر وبرقة وتونس والجزائر قد وصلت ما بين أوروبا وإفريقية، وبقيت راية الإسلام عالية فى هذه البلاد جميعها خلا الأندلس التى أغارت النصرانية عليها فعذبت أهلها وأذاقتهم عذاب الهون ليتركوا دينهم ويتنصروا ولكن المؤمن الحق

---

(١) سورة العاديات ٦ ، ٧

لايساوم بإيمانه أبدا لأنه أغلى عنده من كل شيء فى الوجود ، ولهذا أسلم ملك المغول والتتر أنه هو الغالب وحارب من كان يحارب المسلمين ذلك لأن فيه سعادة الأبد أما نعيم الدنيا فعرض زائل حاضر ونعيم زائل من أجل هذا هاجر المسلمون حرصا على دينهم ، وقد وعد الله من هاجر من البلاد الظالم أهلها المثوبة الحسنى فقال سبحانه .

« وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً »(١)

والمسلمون وإن فقدوا الأندلس فقد عوضهم الله خيرا فى فتح العثمانيين القسطنطينية فمكنوا لدين الله منها واستشرى فى البلقان وانباج نوره فى روسيا وبولندا وغيرها .

أهذه أم بلاد الفرس التى لم تستطع دولة الرومان دولة الحروب وكانت إذ ذاك أقوى دولة فى العالم لم تقو على فتحها ، فقد فتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب ، وقد أقام عمر الدولة الإسلامية فى عشر سنين ، من حدود الصين شرقا إلى حدود شمال إفريقية غربا ، ومن السودان جنوبا إلى بحر قزوين شمالا .

---

(١) سورة النحل ٤١

أثر الدعوة الإسلامية والاجتماعية والأدبية

تحررت الإنسانية من قيود العبودية والرق ، وتحطمت أسوار الظلم والاستغلال فشعر كل فرد بأنه سيد نفسه ومالك أمره لاسلطان لأحد عليه سوى سلطان الحق الذى يعلو ، ولا يعلى عليه ، وقضى على خرافات الوثنية الوضعية التى كان أهلها يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام،أى بالناس الصالحين الذين نصبت لهم هذه التماثيل ليحفظوا ذكراهم والإسلام قد رفع الوسائط، بين الله وبين عباده ، ولكن الواسطة هى الأعمال الصالحة فقط قال تعالى :

« قُلْ إِنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ »(١)

وقال تعالى لنبيه حينما استغفر لعمه أبى طالب :

« إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ »(٢)

والقصد من هذه الهداية الهداية التى تبعد عن النار وتقرب إلى الجنة ، أما الهداية إنه بمعنى الدلالة على وجود الخير فإنها ثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل من يدل على طريق الخير ، كما قال تعالى :

« وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(٣)

---

(١) سورة آل عمران ٣١

(٢) سورة القصص ٥٦

(٣) سورة الشورى ٥٢

وكذلك ، قضت على التقاليد الضارة التى فقدت بالإنسانية عن أن تنهض ثار الإسلام على كل هذه الأباطيل وأهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم فيعرفوا آيات الله التى أودعها جميع المخلوقات ولا ننس هذه الثورة الإصلاحية التى أهدرت جميع الموازين التى درج عليها الناس من الفخر بالحب والنسب والجاه والمال كل هذا لم يعبأ به الإسلام إلا ميزان العمل الصالح والكفاءة. قال تعالى :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الله أذهب عنكم عَيْبةَ الجاهلية وفخرَها بالآباء مؤمنٌ تقيٌّ وفاجرٌ شقى أنتم بَنُو آدم وآدَم من تُراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفسها النتن . معنى المفردات : العبية : الكبر . الجعلان بكسر الجيم : حشرات لا تعيش إلا فى القاذورات وتموت من الروائح الطيبة وقد سمع على كرم الله وجهه رجلين يفتخران فقال لهما أتفتخران بأجساد بالية وأرواح فى النار إن يكن لكما عمل ملكما أصل وإن يكن لكما خلق فلكما شرف وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم وإلا فلستما خيرا من أحد .

---

(١) سورة الحجرات ١٣

الاسلام دين البشرية جمعاء ودين الفطرة

وإنما أطلق على الدين المنزل على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لأنه جمع فضائل الأديان وطوى فيه كل ما ينشده الناس من ضروب الإصلاح ومتع الحياة قال تعالى :

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ »(١)

وتوضيح ذلك أن الأديان تتفق فى جوهرها ومرماها وهدفها فى تقدير يوم الجزاء وتوحيد الله تعالى وتنظيم الحياة وسلامة المجتمع من عبث العابثين وشرور المفسدين قال تعالى :

ولم تختلف الأديان إلا فى نظام المعاملات وكيفية العبادات ، وقانون الجنايات مسايرة للطباع وجريا عن ناموس التطور لأن العقل البشرى لم يكن .

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ »(٢)

لتلقى تشريع عام للبشرية جمعاء لتنظيم حياتهم وإصلاح مجتمعهم فاقتضت

---

(١) سورة آل عمران ١٩

(٢) سورة الشورى ١٣

حكمة الحكيم الخبير والمشرع الحكيم أن يجعل لكل أمة تشريعاً يناسبهم حتى بلغت العقول رشدها فنسخت هذه السنة وتولد عهد جديد فأرسل بنى الإسلام بشريعة عامة صالحة لكل زمن وشعب لما فيها من المرونة حتى يستطيع علماء كل جيل أن يستنبطوا الأحكام التى تتفق وتطور الأزمان وتعاقب الأجيال فمن يتبع غير سبيلها فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين لأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة لكل شعوب الأرض وخالدة إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً »(١)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسُ محمدٍ بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة: يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

ثم إن حاجة الناس إلى الشريعة لا تقل شأنا عن حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الإنسان مركب من جسم وروح فكما أن الجسم قوامه الطعام والشراب كذلك الروح قوامها التشريع والعلم .

والإسلام الذى هو دين الأنبياء جميعاً عقيدة وعبادة ومعاملة وآداب نفسية واجتماعية . أما العقيدة فإيمان بالله وبما جاءت به رسل الله جميعا : إيمان يستوجب العمل عند القدرة وانتفاء المانع ، والإيمان الصحيح هو الذى يجرى من الإنسان مجرى الدم ، ويشع نوره على القلب ، وتظهر آثاره

---

(١) سورة سبأ ٢٨

على الجوارح ، وصاحبه لايبغى إلا الخير ويخشى الله تعالى وتزداد الخشية من الله تعالى كلما قوى الإيمان بالله تعالى قال صلى الله عليه وسلم : « ليس الإيمانُ بالتمنى وَلكنْ ماوَقرَ فى القلب وصدّقهُ العمل: إنّ قوماً ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهمْ وقالوا نحنُ نحسنُ الظنّ بالله تعالى ، وكذبوا لوْ أحسنوا الظنّ لأحسنوا العمل » أخرجه البخارى فى التاريخ .

هذا ولما كانت العقيدة هى الركن الأول فى الإيمان بدأ كل نبى دعوته بها ومكث نبى الإسلام ثلاثة عشر عاما فى مكة يصحح للناس عقيدتهم وجميع التشريع كان فى العشر السنين الباقية من دعوته صلى الله عليه وسلم ذلك لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت كل الأعمال ، وإذا فسدت العقيدة فسدت كل الأعمال وعلامة صحة العقيدة وسلامتها الخوف من الله تعالى ولست مبالغا إذا قلت إن الشرور التى عمت أطباق الأرض إنما هى من فساد العقيدة وفقد الخوف من الله تعالى معرفة الله تعالى ينابيعها ثلاثة : فطرة الإنسان وتعاليم الانبياء وكتاب الموجودات ثم إن العلم الحديث أشد بياناً وأقوى حجة ، وأعظم برهانا على معرفة الله تعالى لأن العلم الحديث قد كشف لنا على أن هذه الكائنات حية وغير حية وجدت عن تصميم محكم وفيها أسرار خفية خارجة عن قدرة البشر .

أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (١)

---

(١) سورة النازعات من ٢٧ إلى ٢٣ .

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ، ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ »(١)

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ »(٢)

المعنى : شبه سبحانه الكلمة الطيبة وهى كلمة التوحيد بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهى كلمة الشهادة وكل عمل صالح مرضى لله ثمرة هذه الكلمة ومعنى أصلها ثابت فى قلب المؤمن وفرعها فى السماء : يرفع الله بها عمل المؤمن إلى السماء كما قال جل شأنه :

« إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » (٣)

كما أن الخبيثة تشبه الشجرة الخبيثة التى اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة زاكية ، ولاجنى ولا ساق قائم . كذلك الكافر لايعمل خيرا ولا يقوله ، ولا يحمل له فيه بركة ولا منفعة :

---

(١) سورة الواقعة ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) سورة إبراهيم ٢٤ - ٢٩
(٣) سورة فاطر ١٠

وفى أنفسكم أفلا تبصرون(١)

صدق الله . لو أن كل شخص فكر فى نفسه التى بين جنبيه : كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر ، وسوى له العظم والبشر وفتح له الفم السوى ،وأودع فيه قوة على أن يستخرج من الأرض كنوزها ويستنزل مع السماء رزقه . نعم لو فكر فى ذلك لما جحد المنذر وأنكر المدبر هذا هو القلب : إنه أشد وأقوى عضلة فى جسمك ، وهو فى حجم قبضة اليد ، ومع ذلك ينقبض وينبسط فى اليوم أكثر من مائة ألف مرة،ويدق ستا وثلاثين مليون دقه فى العام وينظم سير الدم ، ويفتح أربعة آلاف وثلاثما؛ جالون من الدم فى اليوم . والقلب يستريح بين كل دقة وأخرى ، ويعمل من ثمانية إلى اثنى عشر ساعة فى اليوم . فتبارك الله أقدر الخالقين .

وهذا فالعقيدة الصحيحة التى أقرتها الأديان السماوية ، وشهد لها العقل هى : أن الله واحد لاشريك له فى ملكه ، ولا فى تشريعه ، ولا ظهير له ولامعين ، ولايملك رحمته ، إلا هو ، وماعدا ذلك فهو باطل ولهذا مانسمعه من بعض أهل الكتاب أن الله تعالى قال لرجال الدين ، ماحللتموه فى الأرض فهو حلال فى السما، ، وماحرمتموه فهو حرام هذا شرك بالله لأن الله هو المشرع وحده لأن التشريع دواء للنفوس المريضة ولا يعلم ذلك إلا خالقها وحسبى فى ذلك قوله تعالى :

---

(١) سورة الذاريات ٢١

« قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ »

كذلك مما دخل على أهل الكتاب أنه لايقبل إيمان مؤمن ولا ترفع عنه أية خطيئة إلا إذا :

اعتقد ماجرى على المسيح من قتله وصلبه شبهتهم فى ذلك إن الله من صفاته العدل والرحمة فمن عدله الا يترك الجريمة بدون عقاب ، وإلا لم يكن عادلا والعقاب ينافى الرحمة فلا يكون رحيما ، إذا عاقب .

وتفاديا للخروج من هذا الإشكال وتحقيقا للعدل والرحمة اللتين من أخص صفاته اتخذ من نفسه ولدا سنة ١٩٦٩ ميلادية ليقدمه فداء للذين يعتقدون هذا الاعتقاد فاستسلم لليهود فقتلوه وصلبوه وبهذا بقيت له صفتا العدل والرحمة ، وبدهى أن هذه العملية المخزية لا تحقق له صفة الرحمة لأنه عذب نفسه من غير ذنب أرتكبه ، أو جرم أجترمه ، كذلك لم تتحقق له صفه العدل لأنه ليس من العدل أن يذنب شخص ويعاقب آخر ، وعقاب غير المذنب ليس فيه رحمة ، فهذه العملية المزرية قد نفت عن الله صفتين صفة الرحمة وصفة العدل فضلا عما فيها من تنزيل رب الأرض والسموات من عليائه وجبروته إلى ان تجرى عليه الأعراض البشرية من تربيته بين الفرث والدم ، وتناوله للطعام والشراب اللذين يستلزمان ماهو معروف .

(١) سورة الاحقاف ٩

ولهذا استعظم القرآن أن يكون الإله كذلك فقال سبحانه .

« مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ »(١)

وبعد هذه العملية المزرية اقض عليه اليهود يقتلوه فيستغيث فلا يغاثه يقول : ياإلهى يا إلهى لم شبقتنى . أى تركتنى ، وبعدئذ يصلبونه : تعالى الله من ذلك هذا ولما كانت هذه العقيدة تحيلها بداهة العقل خرج عليها المفكرون منهم ، ونفذوا ماقاله آباؤهم المقلدون من هؤلاء أحد كبارهم فيلسوف درس الأديان على اختلاف أنواعها اسمه . « روى ويسكدن سميث » .

فى كتابه المسمى « ضوء جديد على البعث » ونصبه . « لا يوجد متدين مهما كان مذهبه يعتقد أن الله قد أرسل أبنه الوحيد إلى هـــذه البشرية التى لا توازى فى مجموعها منذ بدء الخلق إلى نهايته كوكبا من الكواكب المتناهة فى الصغر لكى يعانى موتا وحشياً فوق الصليب لترضيه النقمة الإلهية على البشرية ولكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجى الذى لا يستسيغة عقل ألا هو الفداء .

لهـذا نجد القرآن الكريم يصف هـذه العقيدة بأوصاف جبارة قال سبحانه .

---

(١) سورة المائدة / ٥٧

« تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا ، لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ، وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا »(١)

أما العبادات فقد شرعها الله لتحفظ للإيمان قوته حتى يتغلب على شهوات النفس فتكبح جماحها ويصد تيار الفتن ويسكن بركان الغضب ويقضى على التقاليد الممقوتة التى تخالف ما شرع الله .

وأما الآداب ففيها تحسن العلاقة بين العبد وربه وبين بنى جنسه وإصلاح المجتمع الإنسانى الذى لولاه لما عاش الفرد ساعة من نهار ، لأنه حماه من عاديات الزمان وسطو الأفراد لا يستطيع من غيره أن يحصل على لقمة الخبز فمن الوفاء للحق أن يدفع للمجتمع ضريبة غالية .

وتستمد الآداب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانت حياته كلها هداية ونورا ، أفعاله وأقواله جميعها مددا يستمد منه الخلق سدادهم ورشادهم فى معاشهم ومعادهم ، وكلامه صلى الله عليه وسلم منزه عن اللغو والباطل ، وإنما كان فى توضيح قرآن أو تقدير حكم أو إرشاد إلى الخير أو تنفير من الشر أو فى نصح ينتفع الناس به فى دينهم ودنياهم .

هذه رشفة من بحر الإسلام الزاخر وما أحوج هذا العالم الذى يجتاحه

---

(١) سورة مريم ٩٠ – ٩٥

القلق والفوضى المروعة إلى الرجوع إلى تعاليم الإسلام التى جعلت الأميين عباقرة مصلحين ، وسكان البادية علماء نابغين انتفعت الدنيا بمواهبهم .

وجماع القول أن الإسلام هو هداية روحيـــة وسياسة اجتماعية ومدنية ، أما الهداية الروحية فقد تمت أصلا وفرعاً قبل أن يجاور الرسول ربه ، ولكن المسلمين جهلوا هذا الأصل فغلا بعضهم بزيادة أحكام فى العبادات ومواسم وأوراد مما يثبت نقصان دين الصحابة الذين حملوا أمانته .

أما السياسة فقد وضع الإسلام أصولها وشرع الرأى والاجتهاد فيها للعلماء الراسخين فى العلم الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم :

« شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ »(١)

وذلك لأنها تختلف باختلاف البيئة والزمان ، وترتقى بارتقاء العمران ولهذا لاتخالف طبيعة الإنسان ولا تصادم أية مصلحة اجتماعية أو فردية ، ولا تناوىء التطور ، ولا تخاصمه بل تتمشى معه وتسايره .

---

(١) سورة آل عمران ١٨

دمعه أسى محزنة

فتخلف المسلمين عن ركب الحضارة الجديدة لم يكن من تعاليم دينهم ، وإنما كانت من إهماله وإن النكسة التى أصابتهم بتسليط الأجانب عليهم لم تكن من تعاليم دينهم كما يقول أعداء الإسلام ، وإنما كانت من ثلاثة أمور : أولها ماقرره علماء الاجتماع وأساطين العمران من أن الأمة إذا تمادت فى الطغيان وانصرفت عن المصالح العمومية إلى شهواتها الشخصية لاتلبث إلا قليلا حتى تفقد سلطانها ويتلاشى ملكها وينهار بناؤها سواء كانت مسلمة أو كافرة ، مصداق ذلك قول الله تعالى .

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ »(١)

فسر الرسول صلى الله عليه وسلم الظلم فى الآية الشريفة بأنه هو الكفر ويحدثنا التاريخ أن بلاد الأندلس كان ينادى فيها بأربعة ملوك فى وقت واحد .

أما ثانيها : ـ فى سبب نكستهم وذنوبهم كما قال تعالى :

« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ »(٢)

وثالثها : تعطيل الجهاد قال صلى الله عليه وسلم : « الجهادُ ماض منذ

---

(١) سورة هود ١١٧ . (٢) سورة الشورى ٣٠ .

بعثنى الله تعالى لا يبطله جور جائر ، ولا عدل عادل إلى أن يقاتل أخر هذه الامه الدجال »(١) وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال : إيمانٌ لاشكَّ فيه وغزْوٌ لا غلولَ فيه وَحجٌ مبرور(٢) » .

ومن وصايا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص فاتح بلاد فارس ومن معه من الأجناد .

« أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وإن أخوف ما أخاف عليكم من ذنوبكم ولا تقولوا . إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا فإن الله سلط على أهل الكتاب المجوس وهم شر منهم فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا فوالله ما ظلمهم القدر ولا غبنهم المجتمع ولكن كانوا انفسهم يظلمون .

ثم إن النكسة التى أصابتهم لم تصبهم فى دينهم فإن الدين لايزال باقيا ولم تؤثر عليه الخطط التى رسمها الأجانب بالدعايات الخاطئة والجهلات الماجنة وتسخير الصحف لنشر سمومهم فلم نسمع أن أحدا ارتد عن دينه

(١) رواه أبو داود عن أنس
(٢) البخارى

أو اعتنق النصرانية بل على العكس ولنا فى الله كبير الأمل فى أن يثوب المسلمون إلى رشدهم فيتمسكوا بدينهم وتتحقق الأخوة الدينية التى هى أقوى من أخوة القرابة والنسب والدم فيرجع إلى الإسلام مجده وتصبح كلمة الله هى العليا وكلمة العدو هى السفلى بقوة الله والله ذو القوة المتين .

صفحات مشرقة

الإسلام ملأ بالإيمان والتقوى قلوب الحاكمين والمحكومين ، وبغض إليهم الإعتساف وحبب إليهم الإنصاف ، من هذه الصفحات صفحة عمر بن الخطاب أن رجلا اسمه ضبة كان دائما يعارض أبا موسى الأشعرى حينما يذكر عمر فى خطابته ولا يذكر أبا بكر فا شتكاه أبو موسى عند عمر فامر عمر باستقدامه لحضر ضبة يجادل عمر فى جرءة وصرامة وفى عنف وفى شدة ويعتب عليه فى استقدامه من البصرة إليه وهو واثق بعدل عمر وأمن بطشه وانتقامه ، فيترك له الفرصة ليدافع عن نفسه فيقول لعمر: إن عاملك يا أمير المؤمنين أبا موسى الأشعرى يذكرك فى خطابته دائما فقلت له : أين عمر من صاحبه أبى بكر حتى لا تذكره ؟ فيحكم عمر على نفسه بالخطأ ويستقيله من ذنبه فى إخبات وانكسار ولا يسع ضبة بعد هذه الخصومة إلا أن يستجيب لرغبة عمر ، ويدعو له بالغفران حيث يستقدمه من البصرة إليه ويقول له : أنت أوفق وأرشد ويقف عمر من أبى بكر وقفة التقدير والتكريم فيعدد مآثره على الإسلام والمسلمين ومواقفه الجليلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم التى استحق بها أن يكون خيرا من عمر : منها أنه قال لضبة : والله ليوم وليلة من أبى بكر خير من عمر وآل عمر !!

ومن هو(١) هو الخليفة الذى فتح الأقطار، ومصر الأمصار ، وأرسى بناء الدولة الإسلامية على قواعد من السياسة الرشيدة ، والعدالة الكاملة ، ودان لدولته الأكاسرة والقياصرة .

عمر الذى كان حظه من هذا الملك العريض لقيمات من شعير ، وإدام من خل وزيت ، وثياب مرقعة وكان يجبى إليه خراج العراق والحجاز ومصر والشام وشبه الجزيرة وما إلى ذلك . . . وتتدفق إليه كنوز فارس والروم على يد أبطال الإسلام الفاتحين ، ومع هذا الملك الكبير ، وهذا الجاه العظيم كان يستمع وهو فى الطريق لشكوى الشاكين وتستوقفه المرأة لتعظه .

وذات يوم استوقفته امرأة تسمى خولة بنت ثعلبه فأخذت تعظه (ب) ويقول لمن اعترض عليه لوقوفه لامرأة فيجيبه بأنها لو استوقفته الدهر كله لوقف وكيف لا يقف لها عمر وقد كلمها من فوق سبع سموات وكما جاء فى القرآن الكريم :

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)

ومما أثر عنه هذا القول : إن قوما يريدون أن يستأثروا بمال الله دون عباده فأما وابن الخطاب فلا إنى قائم آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا على النار . إن هذه الكلمة لنبراس يستضىء به ملوك الدنيا وأفرادها وتقرر مبدأ المساواة التى تطنطن بها صحفنا ، وتجلجل بها أصواتنا فما أكثر خطبنا وقراراتها وما أندر الخطوات العملية من رجال الإصلاح ودعاة الحق والتعمير وكان رضى الله عنه يكتب فى الآفاق إن أهم أمركم

(١) سورة المجادلة ١

عندى الصلاة فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها أضيع — ومن نصائحة الغالية ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يحدث بين القوم الضغائن إياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها وعليكم بذات الأعراق فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها — يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « أرحمُ أمتى بأمتى أبو بكر وأشدُّهم فى أمر الله عمرُ وأشدُّهم حياءً عثمان ، وأقضاهم علىٌّ وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بنُ جبل وأقرضهم زيدُ بنُ ثابت وأقرأهم أبىُّ بن كعب ولكل أمة أمينٌ وأمينُ هذه الأمة عبيدةُ بن الجراح ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر أشبه بعيسى ابن مريم عليه السلام فى وَرَعِه فقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعرف ذلك له قال نعم فاعرفوه فى الترمذى عن أنس رضى الله عنه .

مايقال عن الإسلام

فدين الإسلام قانون أدبي، ومنهاج للحياة الصحيحة يعطى كل نفس حظها ولكل غريزة حقها مالم تخرج عن طورها وتتعدى حدودها . ويرحب بكل جديد مالم يكن فيه ضرر، ولا تأثيم ، ويبعث فى روع الناس القوة والبطولة ولايضيق ذرعا بكل مايجلب نفعا ، أو يدفع ضرراً ، كما أنه يضمن العاجز العيش والعاطل الكسب وللمريض الصحة والعالم كله أمنا وسلاما ، وفوق هذا وذاك أنه دين الأمن والسكينة والصفاء ، والمودة والإخاء فلم يكن دين حرب ونزال .

وحروبه إنما كانت حروب أدب وإصلاح لأنها تهدف إلى تأمين الدعوة فى الدفاع عنها ضد من يقف فى سبيلها حتى لا يخشى من يريد الإسلام الفتنة على دينه ، ولقد كانت الدول تتحرش بجيرانها على حين غفلة ، دون استئذان أوسابق إنذار فتطلق نيرانها على الآمنين ، فلا يستطيعون أن يحموا أنفسهم من الكوارث التى تنزل عليهم ، فلم تتنبه الأمم إلا فى مستهل القرن العشرين، ولقد سبقهم الإسلام بأربعة عشر قرنا ، فجاء الإسلام وجعل هذا غدرا أوخيانة ففى سورة الأنفال :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » سورة الأنفال ٥٨

المعنى : اطرح لهم عهدهم وأنذرهم بذلك ولا تأخذهم على غرة فإن هذا غدر لايليق بأرباب المروءة .

فالإسلام لايجنح إلى العنف والشدة إلا إذا انتهكت حرمات الله أو التعدى أو نكث العهود أو فتنة المسلمين والقرآن ملآن بما يثبت ذلك كما أنه ربط الأسباب بالمسببات ، فمن أخذ فى السبب نجح كافراً كان أو مسلماً ، فما يزعمه أعداء الإسلام من أن الإسلام دين جمود وتفويض وتسليم واتكال على القدر المجهول خطأ وإثم كبير ، فكيف يتهمون الإسلام بذلك وهو حرب على القديم الفاسد وحب للماضى القبيح وحرب على التقاليد الممقوتة ، والوراثة الموروثة وهو الذى رفع رأس البشرية إلى السماء ووحد كل كلمة العرب وجعلهم يستهدفون غاية واحدة يتعاونون إلى البر ويتسابقون فى الخير بعد أن كان بأسهم بينهم شديداً ، أليست دعوته شقت الجبال ، وعبرت المحيطات ، وأسست دولة فى أحشاء أوربة ظلت خمسة قرون لايدانيها مدان فى العلوم حتى أن حضارة أوربة مقتبسة من علومها ، وهذه بلاد فارس التى كانت الوحيدة فى إزمانها فلم تستطع امبراطورية الرومان أن تفتحها فقد فتحها الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستشهد فى فتحها سبعة آلاف وخمسون ألف شهيد ـ هذا وقد وضع المسلمون أيديهم على نصف الكرة الأرضية فى ثلثى قرن اقرأ التاريخ الإسلامى واليونان ثالث ثلاثة بلغت من الرقى فى العلوم ما انتفع معظم العالم بعلمها ، ولما تنصرت أخذت فى التردى والانحطاط هل كان تأخرها من دينها ، وهل لهؤلاء الذين يزعمون أن تخلف المسلمين عن ركب الحضارة فى العصر الأخير إنما كان من دينهم .

ياهؤلاء : أخبرونى إذا كان الوقوف عند حدود الشريعة والاعتراف بالفضائل جمودا فأنعم به من جمود ، وإذا كان التحلل من الأديان ، والانحدار فى مهاوى الرذيلة تجديدا وتقدما فما أبغضه من تجديد وتقدم !!

الحق أن تأخر المسلمين عن غيرهم فى بعض العصور إنما كان من إهمالهم أمر دينهم وتقاعدهم عن العمل وتنافسهم فى الرياسات ويقص علينا التاريخ بكل خجل وحياء أنه أتى زمن على بلاد الأندلس وينادى فيها بأربعة خلفاء . وقد قرر علماء الاجتماع وأساطين العمران أن الأمة إذا تمادت فى الطغيان وانصرفت عن المصالح العمومية إلى شهواتها الشخصية لاتلبث إلا قليلا حتى تفقد سلطانها وتتلاشى ملكها وينهار بناؤها وفى ذلك يقول الله تعالى :

« وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ »(١)

فهؤلاء الذين يرمون الإسلام بالجمود تارة وبالعنف والشدة أخرى لم يكن ذلك عن علم عرفوه أودليل أقاموه وإنما هو التعصب الدينى لأنهم لما لم يفلحوا فى تحويلنا عن ديننا إلى النصرانية سلكوا مسلكا آخر وهو تشكيكنا فى ديننا ، وزعزعة عقائدنا فأسسوا دورا ورسموا فيها خططاً منظمة سموها الثقافة الأجنبية أوالمنظمات الدولية وأنفقوا وفير أموالهم على بعض المجلات والصحف ليروجوا دعوتهم الخاطئة وينفثوا سمومهم القاتلة وذلك بأن دين الإسلام كذا وكذا ولله الحمد لم يستجب لقولهم حتى الساذج من الناس الذين لم يتربوا فى حصن الإسلام .

هذا ولله الحمد والمنة قامت يقظة فى المسلمين الآن جديرة بالفخر والإعجاب فنفضوا عن أنفسهم غبار الكسل وأصبح كل فرد يبذل مجهودا

---

(١) سورة هود ١١٧

فى خدمة المجتمع ، ويرى أن حياته فى حياة المجتمع وموته من موته وتحققت فيهم الأخوة الدينية التى هى أقوى من أخوة القرابة والنسب والدم فتحرروا من ربقة الاحتلال ولم يبق إلا النذر القليل ، وعما قليل سيتحرر الباقى وتصبح كلمة الله هى العليا وكلمتهم السفلى والله عزيز حكيم .

صورة من صور الاسلام المجيدة

لما أعتق أبو بكر الصديق بلالا قال عمر : أعتق سيدنا سيدنا : السيد الأول أبو بكر والسيد الثانى بلال وتتجلى المساواة بأجلى مظاهرها فيما قاله عمر ، وأن الإسلام فوق كل اعتبار فلا سيد شريف ولا عبد وضيع إذ أن الإسلام قد أهدر جميع الموازين التى عليها الناس ، بتقدير قيم الأشخاص بالجاه والمال والحسب والنسب ؛ واعتبر ميزاناً واحدا هو ميزان الكفاءة والعمل الصالح والخلق الكريم ، ولما كان بلال سامى الفكر سديد الرأى ذا نفس عالية ، نقله أمية إلى التصرف المالى ، ولما سمع بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم أسرع إلى مقابلته فأعجبته الدعوة الجديدة فاعتنق الإسلام وما كاد يسمع أمية بإسلام بلال حتى ركبه الهم واشتد الكرب فاستقدمه إليه ، وسأله فى غضب : أحقا يابلال قد استخفك محمداً فاتبعته ، ودخلت فى دعوته وكفرت باللات والعزى وكيف تتبع محمدا الذى سفه ديننا وعاب آلهتنا فقال بلال ما استخفنى محمد ، وما صبأت وإنما رأيت الحق فاتبعته ، وأرشدنى محمد الأمين إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا يعبد سواه فصدقته وآمنت به ، لأن النصر سيكون له مهما طال الزمن فنظر إليه أمية ، وقد ملأ الحنق قلبه وقال : لقد غلبك سحر محمد كما غلب غيرك فملأ قلبك ضلالا وكفرا كما أضل غيرك من أراذلنا الذين اتبعوه ، لقد كنت مخطئاً عندما رفعتك من خدمة المتاع إلى التصرف المالى فدعاك سوء طبعك ولؤم نسفك أن تجحد نعمتى وتنسى فضلى وسولت لك نفسك الشريرة أن تترك دين الآباء فواللات والعزى

إن لم تعبد ما أعبد من آلهة فإنى سأريق دمك كما يراق دم الشاة فقال بلال : لا بأس بالموت يامولاى فهو غاية كل حى ، ونهاية كل حياة ، وإنه لأحب إلى من العودة إلى الضلال والكفر وحياة الذل والهوان ، فثارت ثائرة أمية وغلا مرجل غضبه ، فأمر أن يؤخذ العبد إلى الموت ، وأن يذوق ألوان العذاب .

وإيمان بلال هذا ما كان إلا تلبية لنداء الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهل كانت دعوة الإسلام إلا أن يقوم المجتمع على بناء سليم يرتكز على دعائم ثابتة من الفضيلة وحسن الخلق ورسالته رسالة محبة وسلام .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ساوموه ليخون عقيدته ، وبذلوا إليه مباهج الدنيا وكل مايطلبه الناس من متع الحياة ، فأبى عليهم الإباء ولا عجب فى ذلك ، فإن الآلام يستعذب لكى ينتصر الحق ويطمئن الضمير فانظر كيف يكون الثبات على الحق والفناء أمام فتنة الدنيا ، وإن أخص صفات المؤمن العزة والسيادة والثبات على الحق ، وأنه لايخضع للقهر خضوع العبد ويكون وفيا لعقيدته وفاء لا يتخلخل ولا يتزلزل وأشد الناس بلاء أبطال الدنيا وما كان الله ليبتليهم بهذه المحن والشدائد إلا لأن هذه المحن والمصائب تكون سببا فى بلوغهم درجات الكمال وليخدموا أوطانهم بحزم وإخلاص .

من هذه الصور : أن عمر اشترى فرساً فأخذ يجربها فعطبت فأراد أن يردها فلم يرض البائع فتحاكما إلى سريح فقال يا أمير المؤمنين خذ مااشتريت

أو رد كما أخذت فسر عمر فقال وهل القضاء إلا هذا وجعل شريحا قاضيا على الكوفة .

ومن خطبه رضى الله عنه (إنى لم أبعث عمالى إليكم ليضربوا أبشاركم ولا يأخذوا أموالكم ولكن إنما أبعثهم ليبلغوكم دينكم وسنة نبيكم ويقسموا فيكم فيأكم ، فمن فعل به غير ذلك فليرفعه إلى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه .

مشخصات الاسلام

فالاسلام له مشخصات لايستقيم بدونها ، يصدق ذلك كله الحديث الذى رواه الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه ونص الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (إنَّ للشيطان لمَّة يابن آدم وإن للملكَ لمة ، فأما لمة الشيطان فإبعاد بالشرِّ وتكذيبٌ بالحق، وأما لمة الملك فإبعاد بالخير وتصديقٌ بالحق فمن وَجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ،ومن وجد الآخرة فليستعذْ بالله من الشيطان(١) فلمة الملك تجىء من المواظبة على العبادة والاتصال بالله ، لامن طريق التعليم ، ولا من طريق الزهـــد والتقشف ولا الانجذاب ولا بالإستغاثة بالأولياء والتمسح بأعتابهم ، ولمة الشيطان تجىء من أتباع الشيطان ومن ذلك حديث الصحيحين عن عائشة رضى الله عنه عن عائشة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ، قد كانَ فى الأمم قبلكمْ محدثونَ ، فإن يكنْ فى أمّتى أحدٌ فعمرُ .

وقال تعالى :

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا »(١)

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا »(٢)

---

(١) واللمة هى الواردة التى تمر على القلب أو الخطرة التى تخطر بذهن الإنسان

(٢) سورة العنكبوت ٦٩

(٣) سورة الأنفال ٢٩

نوراً يفرق بين الحق والباطل ، ويخرج بة من الشبهات ، وفى الحديث الذى أخرجه البخارى فى التاريخ عن أبى سعيد (اتـقوا فراسة الذين المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى) رواه الترمذى .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء (اللهم أعطنى نوراً وفى قبرى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصرى نوراً حتى قال . وفى شعرى وفى بشرى وفى لحمى ودمى وعظامى .

ومن هذا يعلم أن مايزعمه القبوريون من أن أصحاب الأضرحة يخاطبونهم بما يريدون جهل فادح وخطأ لايغتفر فعلى فرض أنهم يسمعون شيئاً من ذلك فى القبور فإن ذلك من الشياطين كما كانت الحال فى الجاهلية ، فقد كانت الشياطين تكلمهم من وراء الأصنام ، وقد حكى عن الشيخ عبد القادر الجيلانى أنه قال : تراءى لى مرة نور عظيم ملأ الأفق ثم بدت لى فيه صورة تنادينى : ياعبد القادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فإن شئت فاعبدنى ، وإن شئت فاترك فقلت له أخسأ بالعين فان ذلك النور قد صار ظلاما ، وتلك الصورة صارت دخانا ، ثم خاطبنى اللعين فقال ياعبد القادر نجوت منى بعلمك بأحكام ربك ، وفقهك فى أحوال منازلاتك وقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل له من أين عرفت أنه شيطان قال باحلاله لى ماحرمه الله على لسان رسوله :

الإسلام هداية روحية ، وسياسة اجتماعية واقتصادية ، ورباط وثيق بين الناس وربهم ، وبين المسلمين بعضهم ببعض ، وبين مواطنيهم من أهل الكتاب ، ويعمل جاهدا على دعم الإخاء والحرية والمساواة ورفع منار

العلم ، وتأسيس قواعد الشورى حتى لايستبد الحاكم على المحكوم والرئيس على المرؤس وكذلك يفيد بالمجتمع حتى يقوم على بناء سليم ، يرتكز على دعائم ثابتة من الفضيلة وحسن الخلق ، ويؤثر الرفق على الشدة واللين على العنف ، والسلم على الحرب ، إلا فى التعدى على الإسلام ، وانتهاك حرمات الله ، وإقامة حدود الله ويجنح إلى العفو دائما فى القصاص إلا فى الزنا لأن جريمته مأساة خلقية جارحة حتى فى العصور البدائية الأولى حيث إنها تلصق عارا دونه كل عار بالأسرة كلها ، وسبة لايمحوها كر الغداة ومر العشى أما ماعداه من القصاص فقد أباح الإسلام العفو فيه ، لأنه لايضر الأسرة وجريمته تبخرها الأيام ومرور الأعوام ففى الأولى يقول الله تعالى :

« وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »(١)

صريح الآية تفيد أن إقامة الحد على الزنا لابد أن يكون على مرأى ومسمع من الناس ، ولهذا لما أقام عمرو بن العاص الحد على ابن عمر سرا فى مصر لأنه شرب الخمر ظانا بأنها شراب لم يتخمر فلم يكتف عمر بن الخطاب بذلك بل أقام عليه الحد ، وهو الجلد جهرا بالمدينة وأنب عمرو على إقامة الحد سرا ـ وفى الثانية : قال تعالى :

« فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ »(٢)

---

(١) سورة النور ٢ .

(٢) سورة البقرة ١٧٨ .

« وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى »(١)

ومن هنا يتبين القراء وسطية الإسلام ، ليس فيه تفريط النصارى الذين لايجيزون قتل القاتل ، ولا إفراط اليهود الذين لايجيزون العفو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثتُ بالحنفيَّةِ السَّمْحة » رواه الخطيب فمن سماحته أنه لم يحرم الطيبات ، ولم يشرع الرهبانية التى عليها النصارى ولم يرهقنا بالتكاليف الشاقة ، وحسبنا قول الله تعالى :

« رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »(٢)

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧

(٢) سورة البقرة ٢٨٦

أحب الناس إلى الله المؤمن القوى

واكبر دليل على أن الإسلام فيه دنيا ودين قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ القوىُّ خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خيرٌ احرصْ على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإنْ أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قلْ قدَّرَ الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » المعنى : أن قوة الجسم فى المؤمن تحمله قوى الإرادة والعزيمة فى الأعمال الخيرية ، والضعيف على العكس من ذلك إلا أنه لا يخلو من خير(١) .

---

(١) رواه مسلم .

خير الأمور الوسط

كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، ووسط محمود ، فمثلا السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم .

وهذه الأمة المسلمة التى تحقق فيها الإسلام الحقيقى ، أهلها خيار عدول لأنهم وسط ليسوا من أرباب الغلوه ولا من أرباب التعطيل وهم كذلك فى الأخلاق وقد وصفهم القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١)

والناس قبل ظهور الإسلام قسمان : قسم طغت عليه الحظوظ المادية الجسدية ، كاليهود والمشركين وقسم حكمت عليه الروحية الخالصة فتركوا الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانيه ، كالنصارى والصابئين وطوائف من الهند : أصحاب الرياضات .

ومعروف أن الإسلام لم يسلك سبيل الأولين ولا الآخرين وحسبى فى ذلك قول الله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ١٤٢ .

« وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ »[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم : ليس بخيركم من ترك دُنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فان الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس) رواه البيهقى وغيره عن أنس .

ومن تعاليم الإسلام أيضا قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحبُّ العبدَ التقى الخفى الغنى) .

ولما وقعت الفتنة بين المسلمين التى دبرها اليهود وأهل فارس المجوس اعتزل الناس سعد بن أبى وقاص لجاءه ابنه وقال له : الناس يتنازعون الملك وأنت هنا ، فقال له يابنى اذهب ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله يحبُّ العبد التَّقى الخفى الغنى) وسعد هو الذى فتح بلاد فارس التى كان لها نصف السلطان فى الأرض ولم تستطع دولة الرومان الوحيدة فى زمانها أن تفتحها

المعنى الإقرارى : التَّقى) الذى يتوقى كل مايعلم أنه فما يكرهه الله (الخفى) المعتزل عن الناس الذى يخفى عليهم مكانه (الغنى) الذى يستغنى بالقناعة عما فى أيدى الناس ويرضى بما رزقه الله من طريق الكسب الحلال وغنى المال ليس له حد محدود فما من غنى إلا وهو فقير بالنسبة إلى من هو أكثر منه مالا وما من فقير إلا وهو غنى بالنسبة إلى من هو أكثر منه فقرا .

---

(١) سورة القصص ٧٧ .

فهذا الحديث يحفز إلى العمل والجهاد وتعلم العلم ، لهذا عنى المسلمون الأولون كل العناية بالعلم والعمل وما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل إلى جوار ربه حتى انتشروا فى الأرض ينشرون الدين ، ويفتحون البلاد ويتلمسون العلم من مختلف أبوابه ، فكان شعارهم : الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها .

ولما كان الإنسان مركبا من جسم وروح ، ولحفظ الإنسانية لابد أن يكون بينهما توازن حتى يكون إنسانا بالمعنى الصحيح ، وهذا التوازن إنما يكون بالاتصال بالله والانقطاع عن عالم الماديات فى فترات من الحياة ومن أجل هذا جعل الله لكل أمة من الأمم يوما للعبادة يجتمعون فى بيوت الله حول إمام لهم يعظهم ويذكرهم بالله حتى لاتطغى المادة على الروح فيختل التوازن فيكون إلى الحيوان أقرب . فكم من نفس شريرة وجدت فى ثنايا الوعظ مايخفف من شرها ودواء لأسقامها ؟ وكم من روح صدئت بالهموم فأذهب الوعظ همها وجلا أصداءها .

وليس من شك فى أن مكافحة المعاصى بقانون تحمل لها من اللذة والإغراء مايدفع الكثيرين إلى مقارفتها وقديما قيل : أحب شىء إلى النفس مامنع ، ولو حرم على الناس جماجم الجمر لقال قائل : لولا أذوقه ومعروف أن التشريع الإسلامى عبادات ومعاملات . أما العبادات فأساسها الخشوع لله والخضوع لأمره وترك نواهيه ، وإلا كانت كشجر بلا ثمر لانفع فيها ، ولا غناء ، نعم إذا لم تقو العبادة إرادة الإنسان حتى يتغلب على الشهوات الجسمية فهى هيكل لا روح فيها . أما المعاملات فأساسها الصدق والأمانة وفعل المصلحة الراجحة وترك المفسدة الراجحة .

رعاية الله بعباده

ومن رعاية الله تعالى بالإنسان أنه لايحرم شيئا عليه إلا عوضه ماهو خير له وهاك أمثلة :

حرم الله الزنا وأباح مثنى وثلاث ورباع - وحرم وطء الحائض ، وأباح مباشرتها ماعدا الوطء ، وحرم الكذب وأباح المعاريض ، وحرم النظر للأجنبية ، والخلوة بها خشية الزنا ، ولكنه أباح النظر لمخطوبته والجلوس معها بحضور زوجها أو محارمها ، وحرم بيع الرطب بالتمر ، وأباح منه العرايا وهو بيع الرطب على النخل بتمر فى الأرض ، والعنب فى الشجر بزبيب فيما دون خمسة أوسق وحرم أكل كل ذى ناب من الوحوش ، وكل مخلب من الطير ، وعوضهم عن ذلك سائر أنواع الوحوش والطير على اختلاف أجناسها وحرم الربا ولكنه أباح السلم وهو بيع شيء موصوف فى الذمة مقدر بقدر معلوم وأجل محدد بشرط دفع رأس المال فى المجلس ، وحرم مكسب المقالبات ، وأباحه فى المسابقة والنضال وحرم الحداد على المرأة وهو الإمتناع عن الزينة والخضاب وغيرهما إلا على موتاها ثلاثة أيام فقط وعلى زوج أربعة أشهر وعشرة أيام وهى مدة العدة ، عدة الوفاة .

وجماع القول أن شريعة الإسلام تحترم الغرائز وتعطيها حقها مالم تتعد طورها وتتعدى حدودها فاذا تعدت حدودها وخرجت من المنهج المرسوم لها عصفت بكثير من الفضائل وقضت على أمهات المكارم ، واختل الأمن وانتشر الفساد فى ربوع الدنيا .

ومما يؤسف له أن نرى الكثير من فتياننا وفتياتنا قد انخدعوا بما زينه لهم الأجانب، فتعلموا تقليد الأعمى ظانين أن ذلك حضارة فى نشر الخلاعة والمجون والتبرج الممقوت. والأغانى الماجنة التى صرفتنا عن القول إلى الهزل، وعن النافع المثمر إلى التافه الحقير، خلقت أمزجة فاسدة، لا تجد لذة ولا متاعاً إلا فى الساقط من القول، واللهو من الحديث والتبعة فى ذلك على الصحافة والتليفزيون والمجلات والراديو.

الزهد فى الاسلام

ولا يعزب عن فكر القارئ الكريم أن كل ما جاء فى السنة والكتاب من الحث على الزهد فى الدنيا لا ينافى ما قررناه لأنه يقصد به محاربة الأنانية والجشع وحب الذات والاستئثار بالمال الذى للمجتمع حق فيه لأنه لا يصل إلى الفرد إلا بوساطة المجتمع ومن المحال أن يجىء المال للفرد من غير أن ينضم إليه يد أخرى ، هذا وقد دلت التجارب أن الترف الزائد يورط صاحبه فى الهلاك ، وينغمس فى هوة الشقاء ، ومن هذا جاء فى الأثر المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله إذا أحب عبدا حماه الدنيا كما يحمى أحدكم مريضه عن الطعام والشراب » فى شعب الإيمان البيهقى بلفظ غير هذا اللفظ وقال تعالى :

« وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً »(١)

وفى هذا المعنى يقول الأديب : إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة ـ مصداق ذلك قوله تعالى :

« كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ »(٢)

(١) سورة الإسراء / ١٦ .

(٢) سورة العلق / ٦ ، ٧

وفى آية أخرى :

« وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ »(١)

فالكيس هو الذى يعمل لآخرته ولا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويعمل بهذه الحكمة التى جاءت عن أحد الصحابة ، ولعله على بن أبى طالب أو غيره اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا — نعم الكيس هو الذى يعلم أن الحياة ليست جاها حتى يسرف فى السمو إليه ، وليست شهوة جسدية أو روحية حتى يتفانى فى العمل على نيلها كما أنها لا تعطينا شيئا إلا لتأخذ منا بدلا ، ولا تهب شيئا إلا لتسترده .

فهى تكيل لنا كيلا بكيل وصاعاً بصاع ويرحم الله القائل :

أبدا تسترد ماتهب لدينا فياليت جودها كان بخلا

وحسبى فى ذلك قول الله تعالى :

« وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ »(٢)

وما كان زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرائض الدين ، وإنما كان قوة لا يتطرق إليها الضعف وليتمرن على الصبر فى الشدائد وليكون سلوة إلى كل بائس وفقير ، ومأساة للمصابين .

---

(١) سورة الشورى / ٢٧ .
(٢) سورة الحجر / ٢١ .

والمال ذاته لايذم ولكن الذم إنما ينسب لحامله الذى لم يحسن استعماله فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعم المال الصالح للرجل الصالح .

فالمال سلاح ذو حدين فهو إذا كثر وزاد عن حاجة صاحبه زيادة فاحشة كان فتنة إلا على صاحبه ، وشرا مستطيرا يقود مالكه إلى البطر والطغيان ، ويدفع إلى الاعتداء ومن الزهد أيضا حفظ الكرامة قال صلى الله عليه وسلم : (لأنْ يحتطب أحدُكم حُزمة على ظهره خيرٌ له من أنْ يسألَ أحداً فيعطيه أو يمْنعهُ) البخارى وغيره . وصفوة القول أن تعاليم الإسلام أوامر ونواهى ، فأما الأوامر فكلها دواء وغذاء وشفاء وأما نواهيه لحمية وصيانة ، فهى بمثابة تحذير الأب ابنه أن يقترب من البحر خشية الغرق .

لارهبانية فى الإسلام

العبادات مصدرها الكتاب والسنة . وأما أحكام السياسة والمعاملات الدنوية فهى مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد ودون ظواهر النصوص فإن تعارضا يؤول النص ، لمراعاة المصلحة .

والبدع مضادة للتشريع الإلهى ، وذلك لأنه الأحكام الشرعية خمسة الواجب والمندوب والمباح ، فيبقى حكم الكراهة ، وحكم التحريم ، إذن فالبدع إما مكروهة ، وإما محرمة ، وإما كفر صراح .

فبدع الجاهلية كفر وبدع الموالد حرام ، والذكر بهذه الهيئات مكروه وكذلك الرهبانية التى ابتدعها النصارى وهى الامتناع عن الزواج ، والانقطاع عن الدنيا ، وتحريم الطيبات ، وهذه البدعة لم يفرضها الله عليها ، ويا ليتهم رعوها حق رعايتها وعملوا بها بل وقعوا فى محذورات فاقت حرمتها البدع قال تعالى :

« وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا »(١)

الصحيح أن الاستثناء منقطع ، والمعنى أن الله ما كتبها عليهم ، ولم يفرضها

---

(١) سورة الحديد ٢٦

عليهم ، وقــد وفينا الموضوع حقه فى مؤلفنا (مشكاة الواعظ) من صفحة ١٠٣ .

هذا ولما كانت العبادات من الضرورات للأجناس البشرية شرعها الله فى كل دين من الأديان ، ولكنها مختلفة ، لأنها دواء والدواء يختلف باختلاف المرض ، ومن الذى يعرف مرض النفوس غير خالقها ؟

ورأيت من الخير أن أكتب عنها كلمة بجملة .

شرع الله العبادات لتحفظ العاطفة الدينية قوتها الذاتية لتستطيع تأدية وظيفتها فى ضبط النفس ، وكبح جماح الشهوات ، وثورات الغضب وصد تيار الفتنة ، وقد قرر علماء النفس أن فى كل إنسان عاطفة دينية كغريزة تلازم الإنسان من بدء نشأته ، فاذا ما عارضها تعاليم إلحادية ، أو بيئة فاسدة أو تخلف عن العبادات أو التعاليم الدينية انطفأت جذوتها ولا تنسلخ عن الإنسان ، بل تبقى جذورها يتجلى ذلك فى الرجل الملحد حينما يقع فى محنة ، أو ينزل به القضاء المحتوم فانه يفزع إلى ربه ، ومن مشروعية الصيام الانقطاع من عالم المادة بترك الطعام والشراب والمتعة الجنسية حتى لا تتغلب عليه الشهوات الجسمية ، فيختل توازنه ، فلا يكون إنسانا بالمعنى الصحيح بل يكون إلى الحيوان أقرب ، فلا يفكر إلا فى رغبته الجسمية ، ولا يألو جهدا فى سبيل الحصول عليها فيرتكب كل دنية وكل فعلة وحشية وما هى إلا سنون حتى يدركه الهرم ، فيموت ميتة الحيوان الأعجم ، فيخرج من الدنيا من غير أن يحصل من جهاده الدنيوى نورا يعرج به إلى العالم الذى خلق لأجله ، وهذه حسرة دونها كل حسرة !!!

فأنت ترى من هذا أن كل عبادة شرعها الله تعالى لايقصد منها سوى صالح الشخص نفسه والمجتمع الذى يعيش فيه لهذا نجد القرآن الكريم يختم كل حكم من أحكام العبادات بالحكمة التى تترتب عليه ففى الصوم قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »(١)

وفى الصلاة قال :

« إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ »(٢)

كما أنه حرب على الكسل والتواكل لهذا نرى المسلمين فى العصور الأولى للإسلام مدفوعين إلى العمل بدوافع شتى ، منها ما هو فطرى ، كالجوع والعطش والحاجة من الفقر وما جاء به دينهم بأن قانون الله العمل ، فمن أخذ به وضع الله فى يده مفاتيح الدنيا والآخرة أما الضعف الذى أصاب المسلمين بعد أن سادوا وشادوا وفتحوا إنما كان من تقاعدهم عن الجهاد والعمل وقد أخبر نبيهم صلى الله عليه وسلم أن الجهاد ماض فى هذه الأمة إلى أن تنتهى الدنيا . لأن تنازع البقاء يوجب الجهاد قال تعالى :

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ

---

(١) سورة البقرة ١٢٨

(٢) سورة العنكبوت ٤٥

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ »(١)

الصوامع : البيوت التى ينقطع فيها الرهبان للعبادة والبيع : الكنائس . والصلوات : كنائس اليهود .

المعنى الإجمالى : لولا مشروعية الجهاد لاستولى المشركون على أهل الملل السماوية : معابد اليهود وكنائس النصارى ، ومساجد المسلمين ، ولله الحمد قد قام فى المسلمين يقظة جديرة بالإعجاب فنفضوا غبار الكسل وأخذوا فى العمل ويحدثنا التاريخ الصحيح أنه لم يمض على الإسلام قرن ونصف حتى كان علم الإسلام خفاقا ما بين الأندلس فى غرب أوربه إلى الهند والتركستان إلى الصين وشرق أوربه حتى كان الشام والعراق وفارس وأفغانستان قد أسلمت جميعها وكانت مصر وبرقة وتونس والجزائر قد وصلت ما بين أوربه وأفريقيا وبقيت راية الإسلام عالية فى هذه البلاد جميعها ، خلا الأندلس التى أغارت النصرانية عليها فعذبت أهلها وأذاقتهم من العذاب ألوانا حتى اضطروا إلى تركها بعد أن حصدوا فيها ثروة علمية جمعوها من جميع بلدان العالم حتى كانت سببا فى النهضة العلمية الجديدة التى قامت فى أوربا ، ولقد استعمرها المسلمون ثمانية قرون على أن ما خسر الإسلام فى الأندلس من غرب أوربا كان له العوض حين فتح العثمانيون القسطنطينية ومكنوا لدين الإسلام فيها فاستقرى فى البلقان وانبلج نوره فى روسيا وفى بولونيا — كل هذا يجله التاريخ الذى

(١) سورة الحج ٤٠ - ٤١

هو أصدق شاهد ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومما سجله التاريخ لمصر أنها سباقة لكل مكرمة وما حدث المسلمين حادث إلا أسرعت مصر لإزالته هذه بلاد الاسلام كان لمصر فضل فى تحريرها فكم من مؤتمرات عقدت فيها من أجل سوريا ولبنان وفلسطين ففى سنة ٩٤٧ هبت مصر حكومة وشعباً لنجدة فلسطين بكل قوتها وبكل إمكانيتها ، وبذلت من مالها ودمائها ، وكاد الجيش المصرى يقذف باليهود إلى البحر لولا مؤامرة أمريكا وانجلترا وغيرهما وأعداء العرب والإسلام ولولا دسائس أعوان الاستعمار ومسارعتهم إلى نجدة اليهود بالهدنة الخاطئة التى تسلحت فيها اليهود لولا ذلك لمحيت اليهود من ظهر الكرة الأرضية وبهذا جاء الحديث روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا فتحَ الله عليكمْ مصرَ فاتخذوا بها جندا كثيفاً فذلك الجندُ خيرُ أجنادِ الأرض فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال : لأنهم وأرواحهم فى رباط إلى يوم القيامة . ويرجع نجاح الدعوة الاسلامية إلى أن القائمين بها كانوا مخلصين لها فما كانوا يبتغون بها مالا ولا جاها ولا سلطانا ولا شيئا من عرض الحياة الدنيا وإنما كانوا طلاب حق وهدى للناس ، وكان أحدهم إذا خرج للجهاد يدعو الله تعالى ألا يرد إلى أهله سليما ليحظى بالشهادة فى سبيل هذه الغاية الروحية الإنسانية هانت عليهم جميع التضحيات الجسام لنصرة الحق وصدقت الحكمة القائلة : نستعذب الآلام على مرارتها لكى ينتصر الحق .

هذه رشفة سائغة من بحر التاريخ الزاخر وكل ما نراه فى المسلمين مما يخالف تعاليم دينهم من النافع المثمر إلى التافه الحقير ، ومن الجد من القول إلى الهزل ومن الحشمة إلى التبرج الفاضح والسفور الفادح وغيرها إنما جاءهم من تقليد الأجانب كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم : لتتبعنَّ سننَ منْ قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه » .

وهنا يتبين أن ما أخبر به القرآن الكريم : « سأريكم دارَ الفاسقين » إنما هى الشام لأن الآية نزلت بعد انفصال موسى من مصر .

مشروعية العبادات

شرع الله العبادات لتحفظ للعاطفة الدينية الغريزية فى كل شخص قوتها الذاتية لتستطيع أن تؤدى وظائفها فى ضبط النفس ، وكبح جماح الشهوات وصد تيار الفتنة ، ومحاربة العادات السيئة التى جاءت عن طريق الوراثة والتقليد الأعمى دون عرضها على الشرع ، ووزنها بقسطاس العقل المستقيم .

أولها الصلاة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وأبو داود .

فالعبادات كلها منابع طهر وسمو ونور ، ظهرت فيها عناصر الفضائل الخلقية والفوائد الاجتماعية أنقذت البشرية من أدرانها ، وأقالتها من عثرتها ورسمت لها طريق سعادتها وهناءتها .

فالصلاة مثلا لا تقتصر على حركاتها الرياضية ، من قيام وقعود ، وركوع وسجود دون أن تنال من نفس صاحبها أدنى منال ، فلا يظفر فيها إلا بالمشقة المادية ، لأن الخالق أحكم من أن يفرض الصلاة لهذه الحركات الرياضية التى لا روح فيها ولا حياة ، وليس وراءها هدف سام ؟ ولا غاية نبيلة ، وهل يرضى أحكم الحكماء عن مصل يقوم فى كل يوم بتلك الحركات الظاهرية وهو يلغو فى الكذب والخيانة والغدر والدس ، والإيقاع والملق والرياء وما إلى ذلك من الآثام . وهل من يستعين فى غير الله يحقق فى صلاته معنى تلك الآية الكريمة :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »(١)

وهي بمنزلة ميثاق بينه وبين ربه يتعهد فيه بقصر تقديسه ، واستعانته بالقوة الإلهية وحدها دون أن يعمل حسابا لغيرها أيا كان سلطانه بل طغيانه قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »(٢)

فبدأ سبحانه صفات المؤمنين بالخشوع فى الصلاة ، وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وحرقته ، فإذا خشع القلب يتبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب(٣) » ، وخشوع الصلاة هو روحها

---

(١) سورة الفاتحة ٥

(٢) المؤمنون آية ١ — ١١ .

(٣) هذا قطعة من حديث جاء فى البخارى وغيره .

ولبها ، هذا وقد رأى بعض السلف رجلا يعبث بيده فى الصلاة ، فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ، وفى الحديث الذى رواه النسائى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال الله مقبلاً على العبد فى صلاته مالم يلتفت فإذا التفت انصرف اللهُ عنه » .

فاذا خلت الصلاة من الخشوع ، فلا أجر ولا ثواب يؤيد ذلك الحديث الشريف : « من لم تنهه صلاتهُ عن الفحشاء والمنكر لم يزدَدْ من الله إلا بُعْدا ، رواه الطبرانى فى الكبير وفى البخارى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أنَّ نهراً بباب أحدكم يغتسلُ منه كل يوم خمسَ مرات هل يبقى من(١) درنه شىء قالوا لاَ يبقى من درنه شىء ، قال فذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » وقال تعالى :

« اتلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ(٢) وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ »(٣)

وقال تعالى :

« وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ »(٤)

---

(١) الدرن : الوسخ .
(٢) الفحشا : كل مايحدث للإنسان والمنكر : ذكر الله : الثناء عليكم .
(٣) سورة العنكبوت ٤٥ (٤) سورة هود ، ١١٤ ، ١١٥

والمعنى طرفى النهار «الغداة والعشى أى الصبح والظهر والعصر «وزلفاً» من الليل أى المغرب والعشاء «والحسنات» هى الصلوات الخمس ، يذهبن السيئات «الذنوب الصغائر التى هى من حق الله ، وأما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصالحة ، وأما حقوق العباد فلا يكفرها إلا تأديتها لأهلها أو العفو عنها .

نبدأ الصلاة بنية قلبية والنطق بها بدعة(١) وتكبيرة الإحرام مستقبل القبلة وبعدها يحسن تلاوة التوجه ، وهو :

«وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِين» سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣

ومما ورد أيضا «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» ، ومعنى تعالى جدك : علا جلالك وعظمتك ثم يقرأ الفاتحة ويتبعها بشيء من القرآن ويجهر بهما فيما يأتى : فى فرض الفجر ، وأولتى المغرب والعشاء ، وركعتى فرض الجمعة والعيدين ونوافل الليل وركعتى

---

(١) مقطة ويرى الشافعية أن النطق بها سنة،وهذا خطأ ، لأن السنة ما جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تسرب إليهم الخطأ من قول الشافعى فى كتاب الأم . تبدأ الصلاة بالذكر وبدهى أن الذكر هو تكبيرة الإحرام والنية ليست ذكرا ، وإنما هى إعلان بما يريده المصلى ، فالله تعالى ليس فى حاجة إلى إعلان فانه يعلم السر وأخفى .

الاستسقاء وماعدا ذلك بسر ، ومعنى الجهر أن يسمع من بجواره وخلفه من المصلين ، ويجب على المأمومين الإنصات ، إذا سمعوا قراءة الإمام ، وتسقط عنهم الفاتحة ، وتجب عليهم إذا لم يسمعوها من الإمام ، ثم يركع رافعا يديه ومنكبيه كما يرفعها عند افتتاح الصلاة « وعند القيام إلى الركعة الثالثة ، ويكبر للركوع وكذلك إذا رفع رأسه منه ، ويقول سبحان ربى العظيم ثلاث مرات بحيث يتأنى فى تأديتها ويؤدى كل حرف حقه من المد وغيره ، ولا يجزىء أقل من ذلك .

ومما ورد فى أركان الركوع : « اللهمّ لك ركعتَ وبك آمنتُ ولك أسلمتُ أنتَ ربى خشعَ سمْعى و بَصرى ومخّى وعظْمى وعَصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين .

ومما ورد أيضاً : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى ، ومنها : « سبوحٌ قدوسٌ رب الملائكة والروح ، هذه من أسماء الصفات لله تعالى ومعناها : المنزه عن كل نقص والمتصف بكل كمال ورب العالم الروحى الملائكة وجبريل سيدها .

كيفية الركوع

أن تحنى ظهرك مكبرا لله تعالى واضعا يديك على ركبتيك بحيث يكون نصفك الأسفل واقفا . ونصفك الأعلى منحنيا وعليك أن تقبض بيديك على ركبتيك تمكينا لهيئة الركوع ولا تصوب برأسك منخفضا إلى أسفل ولا تشخص به فترفعه إلى أعلى بل يكون فى مستوى واحد مع ظهرك لتكمل هيئة الركوع مع الخشوع والخضوع لله رب العالمين وتفرج بين يديك فلا تضم يدك إلى جنبك(١) ثم ترفع رأسك من الركوع وتقول : سمع الله لمن حمده ، فإذا استويت قائما فقل : اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ماشئت من شيء بعده ، أهل الثناء والمجد أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد(٢) يقولها الإمام والمؤتم والمنفرد .

ثم يسجد بعد أن يستوى قائما ، ثم يسجد السجدة الثانية بعد أن يستوى قاعدا ويطمئن كالاطمئنان فى السجود ، فما يقوله بعض الفقهاء من أن الاعتدال من السجدة الأولى ومن الركوع ركنان قصيران ـ رأى ضعيف لم

---

(١) سقطة وجاء الحديث عن الحسن البصرى أنه قال : التسبيح التام سبع والوسط خمس ، وأدناه ثلاث تسبيحات فلا يصح الركوع إلا بقدر قول سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وفى السجود لله سبحان ربى الأعلى ثلاثا من غير أن يعجل .

(٢) المعنى لاينفع صاحب الغنى غناه ، إنما ينفعه عمله الصالح .

يقم عليه دليل ، وفى السجود يفترش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى ، وفى المسند والسنن من حديث عبد الرحمن بن شهل قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نقر الغراب وافتراش السبع وعن توطن الرجل المكان فى المسجد كما يوطن البعير فتضمن الحديث النهى فى الصلاة عن الشبه بالحيوانات : بالغراب ، فى النقر ، وبالسبع بافتراشه وذراعيه فى السجود وبالبعير فى لزوم مكان معينا من المسجد ، يتوطنه كما يتوطن البعير ، وفى حديث آخر : نهى صلى الله عليه وسلم عن التفات كالتفات الثعلب ، وإقعاء الكلب ورفع الأيدى كأذناب الخيل فهذه ست حيوانات نهى عن التشبه بها ويقول فى السجود : سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات بحيث يقولها بتأن لايهضم حروفها ولا مدها ، وهذا أقل مايجب فى صحة السجود ، وقد وردت أدعية فى السجود منها : اللهم إنى لكَ سجدتُ وبكَ آمنتُ ولك أسلمتُ ، سجد وجهى الذى خلقه وصوّره وشقّ سمعهُ وبصرَه وتبارك الله أحسن الخالقين ، وورد أيضا : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى ، وورد أيضا : سبوحٌ قدوسٌ رب الملائكة (١) والروح ، والذكر الوارد فى الاعتدال من السجدة ، اللهم اغفرلى وارحمنى واجبرنى وارزقنى وعافنى واعف عنى .

والسجود لايصح إلا إذا كان على سبعة أعضاء بينها الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآتى :ـ

أمرت أن أسجدَ على سبعة أعظم : الجبهة وأشار بيده إلى أنفه أى يكون الأنف مع الجبهة لأنهما عظم واحد ، واليدين والركبتين ، وأطراف القدمين

---

(١) سبوح قدوس : أنت منزه ومطهر عن كل مالا يليق بك .

أى أصابعهما ، رواه البخارى وغيره - وكان ركوعه صلى الله عليه وسلم كاعتداله ، وجلسته بين السجدتين كسجوده ، الحديث متفق عليه .

ومن كمال الصلاة أن يكون بصره إلى موضع سجوده إلا عند النطق بكلمتى التوحيد فيكون بصره إلى السبابة ، وعند السجود يضع أصابع يديه حذو أذنيه وهو ساجد ، ويضم أصابعه ويوجهها إلى القبلة ويبدى مرفقيه وساعديه ولا يلزقها بجانبه وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا سجد لو مرت بهيمة تحت ذراعه لنفذت وذلك لشدة مبالغته فى رفع مرفقيه بخلاف الركوع فإنه يلقم راحتيه ركبتيه ويفرق بين أصابعه ويعتمد على ضبعيه وساعديه ، ويسوى ظهره ولا يرفع رأسه ولا ينكسه .

هذا ولما كانت الصلاة من الدين بمكان عنيت الشرائع الإسلامية بها وعلى رأسها الشريعة الإسلامية كما جاء فى القرآن الكريم فمن دعاء خليل الله ابراهيم :

« رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى »(١)

وما نطق به عيسى فى مهده :

« إِنِّى عَبْدُ اللهِ آتَانِىَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا »(٢)

وعن إسماعيل :

---

(١) سورة إبراهيم ٤٠

(٢) سورة مريم ٣٠ ، ٣١

« وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا »(٣)

ومثل ذلك عن كليمه عليه السلام :

« وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، أَنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي »(٤)

ومن سماحة الإسلام أن جعلها مؤقتة بميقات معلوم لا تقدم عليه لحظة ولا تؤخر إلا فى حالتين . أولهما النسيان ، وثانيهما النوم ، ولا عذر لأحد فيما عداهما قال تعالى :

« إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا »(٥)

فوقتها للناس حين تذكره وللنائم حين يتيقظ وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيمونها فى الحرب والسلم والصحة والمرض وفى الحضر والسفر ، فلا تسقط عن المكلف إلا فى النزع الأخير أو الجنون والإغماء ودليل ذلك قول الله تعالى :

« حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ »(٦)

---

(١) سورة مريم ٥٥
(٢) سورة طه ١٤
(٣) سورة النساء ١٠٣
(٤) البقرة ٢٣٩

المعنى : صلوا ماشين أو راكبين ولا يمنعكم عن تأديتها الخوف على النفس أو العرض والمال والسبب فى عدم إسقاطها عن المكلف أنها عمل قلبى وإنما فرضت فيها تلك الأعمال الظاهرة لأنها مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات وهى تذكر المصلى بالسلطان الأعلى المستولى علينا وعلى العالم كله ، فإذا عجز عن العمل البدنى ولو بالإشارة أجرى الصلاة على قلبه فمن هذا كله يتحقق لنا أن الله أوجب الصلاة فى حال الملاحم فى القتال ومقاومة العدو والخوف على النفس والعرض المال والفرار من الأسد ، وكذلك إذا فقد الطهورين فى الوقت أو استدبر القبلة وكذلك إذا لم يستطع أن يصلى فى الازدحام فى السفر فانه يصلى حيث أمكنه فى الوقت ولا إعادة عليه ولذلك ينبغى للذين يسافرون ويستغرق سفرهم يوما كاملا أن يصطحبوا شيئا من التراب لأجل التيمم لأن السفر نفسه يبيح التيمم مع وجود الماء وذلك المشقة ، ولم يجعل سبحانه الخيرة للإنسان فى أوقاتها لئلا تركن النفوس إلى التواكل وحتى لا يطول الأمد بين المصلى وبين الله تعالى فيقسو القلب وهذا فى حق البالغين وأما فى حق الأطفال فقد بينه الحديث .

فمن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربُوهمْ عليها وهم أبناءُ عشر سنين ، وفرقوا بينهمْ فى المضاجع رواه احمد وغيره عن ابن عمرو

الحد الشرعي لصحة الطمأنينة في الصلاة

يخطىء الكثيرون من أهل العلم فيقررون في كتبتهم بان أقل الطمأنينة التي تصح بها الصلاة بقدر سبحان الله وكان من آثار هذا الفهم الخاطىء أن أصبحت الصلاة عبارة عن حركات وعادات خالية من روح الدين وسره كما هو حال أكثر المسلمين اليوم ، ولم تحقق الغرض المنشود منها ، وهي تهذيب النفوس وإصلاح القلوب وانطبق عليهم وصف الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته قالوا : يارسول الله : كيف يسرق من صلاته قال : لايتم ركوعها ولا سجودها ، ولا خشوعها رواه أحمد ، وليتهم أحسنوا في هــذا الخطأ واقتصدوا فيه بل أفرطوا فيه حتى . في سبحان الله ، فهضموها حقها ولم يقدروها قدرها ، بل حذفوا مدها من لفظ الجلالة وهذا إلحاد في اسم الله وهذا حرام ، قال تعالى :

« وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(١)

لم يكن لهؤلاء الواهمين دليل فيما ادعوا سوى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته ثلاث مرات : « صل فانك لم تصل » فلما قال : يارسول الله لم أحسن غيرها قال له إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا

---

(١) سورة الأعراف ١٨٠

ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم افعل ذلك في جميع صلاتك ، في البخاري وغيره .

بيان الخطأ أنهم فسروا الطمأنينة تفسيرا لغويا وهو سكون بين حركتين ، وهدروا القدر الذي كان عليه الرسول وأصحابه والأئمة مما استفاضت به كتب الحديث استفاضة لامطمع بعدها لمنكر في أنه كان ركوعه وسجوده كقراءته . وجاء في الحديث الذي رواه احمد : « إن الرجل ليصلي ستين سنة وماله صلاة ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : يتم الركوع ولا يتم السجود ، ويتم السجود ولا يتم الركوع . وفي صحيح البخاري عن زيد بن وهب قال : رأى حذيفة رجلا لا يتم الركوع ولا السجود فقال : ماصليت لومت مت على غير الفطرة التي فطر عليها محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد نقل عن الصحابة أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يقل عن عشر تسبيحات في كل ركن من أركان الصلاة ونقل عنه أيضا أن قراءته كانت تختلف باختلاف الأحوال فتارة كان يقرأ السور الطوال وتارة القصار ، فهذه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت إلينا من طريق التواتر فهل فيها أنه صلى الله عليه وسلم كان يطمئن في كل ركن من أركان الصلاة بقدر سبحان الله المبتورة ، وجاء في صحيح البخاري « أنه صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ، وقوله للصحابي « إذا ركعت فقل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه ، وإذا سجدت فقل سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات وذلك أدناه رواه النسائي وأبو داود .

فهذان الحديثان يقطعان على المقلد الذي يكذب على أئمة الدين ويسد

عليه كل باب التأويل بأن معنى أدناه أدنى الكمال وأن العدول عن الظاهر لايكون إلا بدليل وأين الدليل ؟ ؟ إن كنتم تستدلون بحديث معاذ : « أفتان أنت يامعاذ ؟ فان النهى كان لإطالته فى القراءة لأنه قرأ بسورة البقرة .

والحديث معروف فى الصحيحين وغيرهما ، فما كان لأحد بعد هذا أن يؤدى هذه الصلاة المبتورة وإذا سئل يقول : أنا حنفى ، فالإمام الحنفى براء من هذا ولم يكن يصلى هذه الصلاة إذ أنها لاتثمر ثمرتها إلا إذا سكنت الجوارح وخشع القلب ، قال تعالى .

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ »(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذى لايتم صلاته مثل المرأة التى حملت حتى إذا دنا نفاسها أسقطت فلا حامل ، ولا ذات رضاع .

ومثل المصلى كمثل التاجر لايخلص له الربح حتى يخلص له رأس المال ، وكذلك المصلى لايقبل الله له نافلة حتى يؤدى الفريضة هذا الحديث والذى قبله لم أقف إلا على أنه عن على كرم الله وجهه ووجوب استقبال القبلة فى الصلاة مأخوذ من قول الله تعالى :

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »(٢)

---

(١) سورة المؤمنون ١ ، ٢

(٢) سورة البقرة ١٤٤

ولا يسقط استقبال القبلة إلا فى حالة واحده وهى ما إذا كنت مسافراً وتصلى النافلة التى ليست بفريضة على دابة أو سيارة أو طيارة أو نحوها فلك أن تتنقل متوجها إلى حيث تتوجه دابتك أو ما أنت عليه راكبا .

وعندما تشتبه عليك جهة القبلة اجتهد فى الجهة التى تظنها جهتها وصل إليها والأرض كلها مسجد يصلى عليها بلا حاجة إلى فراش أو بساط أو مصلاة أو سجادة إلا ما كان منها قذرا تعافه النفس كالحمام والمقبرة والمجزرة ، وما شابه ذلك كمعاطن الإبل لأنها مهد الشيطان وعلى كل شخص إذا ما رأى مصليا يخالف هذه التعاليم أن ينصحه وإلا شاركه فى وزرها .

وقد جاء الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : منْ رأى منْ يسيءُ وفى صلاته فلم ينْهه شاركه فى وِزرِها وعارِها .

وجاء الحديث عن بلال بن سعد أنه قال : « الخطيئة إذا خطيت لم تضر إلا صاحبها فإذا ظهرت ولم تغيره ضرت العامة » . وإنما تضر العامة لتركهم ما يجب عليهم من الانكار والتغيير على الذى ظهرت منه الخطيئة ، فلو أن عبدا صلى حيث لايراه الناس فيضيع صلاته ولم يتم الركوع ولا السجود كان وزر ذلك عليه ، وإن صلى حيث يراه الناس وضيع صلاته فلم يتم ركوعها ولاسجودها كان وزر ذلك عليهم .

وفى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه » لأبى ليلى فى مسنده عن أنس(١) .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا توضأ العبد فأحسن وضوءه ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له الصلاة : حفظك —

أوقات الصلاة

وقت الفجر أو الصبح حينما يسبق طلوع الشمس شفق ونور وينتهي الوقت ببزوغ قرن الشمس فاذا ماسارت حتى توسطت السماء ومالت عن ذلك قليلا فهو الزوال الشرعي وعنده يدخل وقت صلاة الظهر ،فاذا سارت نحو الغرب فقطعت ثلاثة أرباع سيرها وحينما ترى ظلال الأشياء تساوى أطوالها يخرج وقت الظهر ويدخل وقت العصر ، فاذا ماغابت الشمس راح منها وقت العصر ، ودخل وقت المغرب ، فاذا غاب شفقها معها ذهب وقت المغرب ودخل وقت العشاء إلى ثلث الليل اختيارا أو نصفه للحاجة أو الليل كله إلى الفجر عند الضرورة .

أما في السفر طال أو قصر فيجتمع وقت الظهر والعصر ويصير وقتا واحدا ، تصليهما معا بعد الزوال إلى الغروب تقديما أو تأخيرا،وكذلك يتجمع وقت المغرب والعشاء بعد الغروب إلى ثلث الليل أو نصفه،أو فجره، والصبح وقتها واحد سفرا وحضرا من انبثاق الفجر إلى طلوع الشمس ومثل

= الله فاحفظنى ثم تصعد بها إلى السماء ، ولها ضوء ونور وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهى إلى الله تبارك وتعالى فتشفع لصاحبها ، وإذا ضيع وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتنى ثم تصعد بها إلى السماء فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ، ثم يضرب بها وجه صاحبها .

المسافر أهل الأعذار ، من مرض وسياقة السيارات أو الترام والقائمون بالحراسات فلهم أن يجمعوا صلاتى الظهر والعصر معا والمغرب والعشاء معا عند الحاجة إلى ذلك لدفع الحرج دليل ذلك حديث الصحيحين عن ابن عباس أنه صلى فى المدينة ثمانيا يعنى الظهر والعصر جميعا – وسبعا – يعنى المغرب والعشاء جميعا زاد مسلم من غير خوف ولا مطر ، وكونه فى المدينة دليل عدم سفره وقال أحد رواة الحديث أراد ألا يحرج أمته .

وقص الله تعالى فى كتابه العزيز رفع الحرج :

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »(١)

---

(١) سورة الحج ١٨٧]

حكم تارك الصلاة

لقد صحت الأحاديث بأن تارك الصلاة يطلق عليه الكفر ، من هذه الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم : «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» رواه أهل السنن ومنها : «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ومن تركها فقد كفر» .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : «من تركَ صلاةً مكتوبةً متعمدا فقد بَرِئت منه الذمة» رواه الإمام أحمد التحقيق أنه لا يمكن أن ينفى عن تارك الصلاة اسم الكفر بعد أن أطلقها الله ورسوله عليه ولكن هل يضاد الإيمان ويخرجه عن الله أم لا ؟ فنقول . الكفر نوعان . كفر عملى وكفر جحود وعناد ، فكفر الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله ، جحود أو عنادا .

وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه ، ويخرج عن الله ، وأما كفر العمل فينقسم إلى مايضاد الإيمان وإلى مالا يضاده فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبى يضاد الإيمان ، وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملى قطعا ، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر وعلى هذا فهو كفر دون كفر لأن الإيمان شعب كما جاء فى الحديث . «الإيمان بضع وستون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ، وفى رواية بضع وسبعون شعبة فشعب الإيمان إيمان ، وشعب الكفر كفر ، فالحياء شعبة من الإيمان ، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر ، والصلاة ،

والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان ، وتركها من شعب الكفر ، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان ، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر ، والمعاصى كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان وعلى هذا فكلما نقصت شعبة من شعب الإيمان حل محلها شعبة من شعب الكفر ، وعلى هذا إذا تغلبت شعب الكفر على شعب الإيمان لا تطلق على صاحبها أنه مؤمن وبالعكس .

ومن الكفر العملى تصديق الكاهن ، والزنا والإيلاج فى غير موضعه قال سفيان بن عيينه عن هشام بن جحير عن طاووس عن ابن عباس فى قوله تعالى .

« وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ »(١)

ليس هو بالكفر الذى يذهبون إليه ويسمى الكافر ظالما كما فى قوله تعالى . « والكافرون هم الظالمون » وسمى متعدى حدود الله ظالما فى قوله تعالى .

« وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ »(٢)

ويسمى الكافر فاسقاً فى قوله تعالى .

« وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ، الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ »(٣)

---

(١) سورة المائدة ٤٥ (٢) سورة الطلاق ٢

(٣) سورة البقرة ٢٦ ، ٢٧

ويسمى المؤمن فاسقاً كما فى قوله تعالى .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ »(١)

وكما أن الكفر نوعان كذلك الشرك نوعان . شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر ، وشرك لاينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر ، وهو شرك العمل ، كالرياء ، ومن الشرك الأصغر قوله صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه أبو داود .

وقصارى القول أن تارك الصلاة كسلا لاجحودا ناقص الإيمان ، وعلى الحاكم أن يمهله ثلاثة أيام فان صلى تركه وإلا قتله ويكون قتله مسلما يدفن فى مقابر المسلمين وبعض الصحابة يرى أنه يقتل كفرا لاحدا ويدفن فى مقابر المشركين وهذا رأى أحمد بن حنبل ، أما من تركها جحودا غير مؤمن بفرضيتها فانه يقتل كافرا ويدفن فى مقابر المشركين باتفاق العلماء .

---

(١) سورة الحجرات ٦

تحقيق الشوكانى

قال : والحق أنه كافر يقتل أما كفره فلأن الأحاديث قد صحت أن الشارع سمى تاركها بذلك الإسم وجعل الفارق بين الرجل وبين جواز إطلاق هذا الإسم عليه هو الصلاة فتركها مقتض بجواز الاطلاق ، ولا يلزمنا شيء من المعارضات التى أوردها المعارضون لأن نقول . لايمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة ، واستحقاق الشفاعة .

هذا ولما كان كل شخص ليس له من صلاته إلا ماعقل - اضطررت إلى أن أشرح للقراء بعض معانى الفاتحة والأذكار فأقول :

يبدأ المصلى قراءته الفاتحة بالاستعاذة وهى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاذا قالها فقد آوى إلى ركنه الشديد ، واعتصم بحوله وقوته من عدوه الذى يريد أن يقطعه عن ربه،ويباعده من قربه ثم يبدأ الفاتحة بالبسملة وهى : بسم الله الرحمن الرحيم ويأتى بها جهرا فى الجهرية ويسر بها فى السرية أما الاستعاذة فيسر بها فى الجهرية والسرية .

الاستعانة بالله وحده

(بسم الله) فمعنى بسم الله أبدأ عملى باسمه ، لا باسمى ولا باسم غيره ، أى أنى أعمل بأمره وله لا إلى ، وقد جرت عادة الناس أنهم يذكرون اسم ذلك الأمير أو القاضى لأن اسم الشىء دليل وعنوان عليه ، وهذه المحاكم المصرية فانها تصدر أحكامها باسم الرئيس الأعلى .

(الحمد لله رب العالمين) الثناء الجميل له تعالى وراجع إليه وأن كل حمد يتوجه إلى محمود فهو لله تعالى سواء لاحظه الحامد ، أم لم يلاحظه لأنه متصف بكل مايحمد عليه الحامدون فصفاته أجل الصفات ، وإحسانه عم جميع الكائنات ، فالله ربنا ورب عموم الخلق بحمده ونثنى عليه بألسنتنا، وقلوبنا هو المالك والمربى والمدبر لنا ولجميع خلقه .

(الرحمن الرحيم) الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم وكان الأول الوصف والثانى الفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته أى صفة ذات له سبحانه ، والثانى دال على أنه يرحم خلقه برحمته ، أى صفة فعل له سبحانه يؤيد ذلك قوله تعالى . وكان بالمؤمنين رحيما) وأنه بهم رءوف (رحيم) وفى عادتهما بعد البسملة نكتة بديعة وهى أن تربيته للعالمين تربية رحمة وإحسان كما أنها ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أودفع مضرة ، وإنما هى لعموم رحمته وشمول إحسانه .

(مالك يوم الدين) المالك الأعظم الذى يحكم بين الناس يوم القيامة

والذى لايكون فيه ملك سواه وإن أرباب التيجان والنفوذ والسلطان يجيئون إليه حفاة عراة عزلا لايغنى عنهم مالهم ولاسلطانهم من الله شيئاً حتى يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ليجزى الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين .

« يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ »(١)

فأنت تمجد الله ، وتعظمه تعظيما ، يمكنك هيبة منه ، فتستمد لقائه يوم الدين (إياك نعبد وإياك نستعين) أفرده سبحانه بالتوحيد والهيبة ، واستمداده المعونه منه وحده ، بهذين الأصلين ، وهما اختصاص الله بالعباد من صلاة وصوم وحج وصدقة ونذر وذبح وحلف وطواف، وماإلى ذلك مما لايكون إلا لله وحده) .

والإستعانة به وحده فى قضاء الحاجات تفريج الكروب ، ففى هذين سر الخلق ولأمر والدنيا والآخرة فلامعبود يستحق العبادة الاهو ، ولامعين على عبادته غيره فعبادته أعلى الغايات ، وإعانته أجل الوسائل فمن أجلهما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب .

وقد قال العلماء ، ان الله سبحانه وتعالى إنزل مائة كتاب وأربعة كتب

---

(١) سورة الانفطار ١٩

جمع معانيها فى أربعة وهى التوراة والإنجيل والقرآن والزبور ، وجميع معانيها فى القرآن ، تهدف كلها إلى توحيد العبودية ، وتوحيد الربوبية قال تعالى .

« وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ »(١)

ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سألتَ فاسأل اللهَ وإذا استعنْتَ فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وطويت الصحف » أخرجه الترمذى ألا فليعلم هؤلاء الذين يجعلون النذور لعباد الله الصالحين، ويطوفون حول قبورهم ويستغيثون بهم إنما هم فى ضلال بعيد وأين هم من قول الله تعالى .

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »(٢)

فوالله لو كانت هذه السورة التى أجمل الله فيها مافصل فى القرآن فسروها عن تدبر وامتزجت قلوبهم بها لما وقعوا فى الشرك الذى وقع فيه العرب فى جاهليتهمَ والذى كان يحذر الأمة منه عمر ، وقد أثر عنه أنه قال : « من لم يعرف الوثنية فانه ينقض الاسلام عروة عروة ، قال تعالى . «ولاتدعُ منْ دونِ الله مالا ينفَعُك ولايضرُّك فان فعلتَ فانك إذا من الظالمين » .

---

(١) سورة البينة ٥
(٢) سورة الفاتحة

أنواع الهداية

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ »[1]

الصراط المستقيم . هو الطريق الموصل إلى الحق ، والمغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغتهم شريعة من الله ودينه فرفضوها ولم يقبلوا انصرافا عن الدليل ، ورضاء بما ورثوه من السابقين ، والضالين هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح الذى يقرن به العمل .

أنواع الهداية أربعة . أولاها هداية الوجدان الطبيعى والالهام الفطرى وتكون للأطفال منذ ولادتهم ، فان الطفل بعد مايولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالبا له بفطرته .

وعندما الثدى يصل فيه يلهم التقامه وامتصاصه .

الثانية : هداية الحواس والمشاعر ، وهى متممة للهداية الأولى فى الحياة الحيوانية ويشارك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم بل هو فيهما أكمل من الإنسان ، فإن حواس الحيوان وإلهامه يكملان له بعد ولادته بقليل ، بخلاف الإنسان فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج فى زمن غير قصير ألا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات إدراك الأصوات والمرئيات ثم بعد

---

(١) سورة الفاتحة

مدة يبصر ، ولكنه لقصر نظره يجهل تحديد المسافات فيحسب البعيد قريبا فيمد يديه إليه ليتناوله ، وإن كان قمر السماء ولا تزال يغلط حسه حتى فى طور الكمال .

الهداية الثالثة : العقل : خلق الله الانسان ليعيش مجتمعا ولم يعط من الالهام والوجدان ما يكفى مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل فإن الله قد منحها من الالهام ما يكفيها لأن تعيش مجتمعة يؤدى كل واحد منها وظيفة العمل لمجتمعها ويؤدى الجميع وظيفة العمل للواحد ، وبذلك قامت حياة أنواعها كما هو مشاهد — أما الانسان فلم يكن من خاصة نوعه أن يوفر له مثل ذلك الالهام لحباه الله هداية هى أعلى من هداية الحس والالهام ، وهى العقل الذى يصحح خطأ الحواس والمشاعر ويبين أسبابه وذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيرا ويرى العود المستقيم فى الماء معوجا والصفراوى يذوق الحلو مرا ، والعقل هو الذى يحكم بفساد هذا الادراك .

الهدايه الرابعة : الدين يغلط العقل فى إدراكه كما يغلط الحواس ، وقد يهمل الانسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية ، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى توردة موارد الهلكة .

فاذا وقعت المشاعر فى مزالق الزلل وأسرت الحظوط والأهواء العقل

فصار يستنبط لها ضروب الحيل فكيف يتسنى للإنسان مع ذلك أن يعيش سعيدا — وهذه الحظوظ والأهواء ليس لها حد يقف الإنسان عنده . وما هو بعائش وحده وكثيرا ما نتطاول به إلى مافى يد غيره فهى لهذا تقضى أن يعدو بعض أفراده على بعض فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون ويتواثبون،ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضا ، ولا تغنى عنهم تلك الهدايات شيئا فكانوا فى حاجة شديدة إلى هداية أخرى ترشدهم فى ظلمات أهوائهم إذا هى غلبت على عقولهم ، وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها ، ويكفوا أيديهم عما وراءها ، ثم إن مما أودع فى غرائز الإنسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الأكوان ينسب إليها كل مالايعرف له سبب ، لأنها هى الواهبة كل موجود بأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد مايجب عليه لصاحب هذه السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها ، وما فيه سعادته فى تلك الحياة الثانية كلا إنه فى أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة وهى هداية الدين .

أشار القرآن إلى أنواع الهداية التى وهبها الله تعالى للإنسان فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : « وهديناه النجدين » أى طريق السعادة والشقاء والخير والشر وهذه تشمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين وهنا نعلم أن الهداية التى أثبتها القرآن للنبى صلى الله عليه وسلم إنما هى الدلالة على الخير والحق ، والهداية التى نفاها عنه صلى الله عليه وسلم إنما هى الإعانة والتوفيق .

هذا ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين وفى استعمال الحواس والعقل على ما قدمنا كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة ، فأمرنا الله بطلبها منه فى قوله : اهدنا الصراط المستقيم ، أى دلنا يارب دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : « قسّمتُ الصلاةَ بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدنى عبدى فاذا قال : الرحمن الرحيم ، قال الله . أثنى على عبدى فاذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله : مجدنى عبدى فاذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

فأى نعيم وقرة عين ، ولذة قلب ، وابتهاج سرور لاتحصل له فى هذه المناجاة والرب سبحانه وتعالى يسمع لكلامه جاريا على لسان عبده ويقول حمدنى عبدى ، أثنى على عبدى ، مجدنى عبدى ، فإذا فرغ من تلاوة الفاتحة قرأ ماتيسر من القرآن ثم عاد إلى التكبير وخر راكعاً جاثيا له ظهره ، خاضعا لعظمته متذللا لعزته مستكيناً لجبروته ، مسبحا باسمه العظيم فيقابل تلك العظمة بهذا الذل والإنحناء والخضوع ، وقد طأطأ رأسه ، وطوى ظهره ، وربه فوقه يسمع كلامه ، ويرى خضوعه وذله ،فإذا مانال حظه من التعظيم لله تعالى عاد إلى حاله من القيام حامدا ربه مثنيا عليه بأكمل محامده ثم يعود إلى التكبير فيقع ساجداً على أشرف مافيه وهو الوجه فيعفره فى التراب

ذلا بين يديه وانكسارا ولا يرفع يديه عند السجود بل منحطا للسجود كما ينحط الوجه .

وقد شمل الحديث الآتى : أعضاء السجود « أمرتُ أن أسجد على سبعة أعظم : الجبهة وأشار بيده إلى أنفه أى يكون الأنف مع الجبهة لأنهما عظم واحد واليدين والركبتين ، وأطراف القدمين ، أى أصابعهما ، متفق عليه ، ويجب أن يأخذ كل عضو من أعضاء السجود حظه من هذا السجود حتى أطراف الأنامل ورءوس الأصابع ، وأمر بأن يكون رأسه أسفل مافيه تكميلا للخضوع والتذلل ، وأن يسبح ربه الأعلى فيذكر علوه سبحانه فى حال سفوله هو وينزهه عن مثل هذه الحالة وهو فوق كل شىء .

ولهذا كان أقرب ما يكون الرب منه فى هذه الحالة فما من سمع ولا بصر ، ولا قدم ، ولا قطرة دم فى المصلى إلا وهى لله فالسجود سر الصلاة وركنها الأعظم وخاتمه للركعة ، وما قبله كالمقدمات له ثم شرع تكرار السجود مرتين فى كل ركعة ليشبع القلب من هذا الغذاء ، والدواء وهذا أيسر اليسير من حقه سبحانه على عبده ، فما أحسن هذا الترتيب العجيب ، والتنقل فى مراتب العبادة من الحمد والثناء والخضوع والتذلل مثنى وثلاث ورباع ثم يختم ذلك بأن يقعد قعدة العبد الذليل فيعترف بلسانه بأن جميع التعظيمات والتحيات التى صدرت منه ومن غيره له وحده واعترافا بالجميل ، هذا وقد جرت عادات الناس فى تعظيم ملوكهم أن يعظموهم بالسجود أو بالركوع أو بالثناء عليهم بالجميل ، أو بتقبيل الأرض بين أيديهم فأمر الإسلام بأن المستحق لهذه التحيات كلها إنما هو الله وحده لأنه خالق كل شىء وواهب النعم

ومالك الملوك قلوب الملوك بيده فالسجود منتهى التعظيم لايجوز لأحد من خلق الله مهما علت منزلته .

ثم إنه هو يذكر الإنسان بأنه خلق من الأرض التى هى مذللة للوطء بالأقدام واستعمله فيها ويرد إليها وسيخرج منها إلى الدار الآخرة ، فهى أمه وأبوه ، وأصله ، فهى ضمته حيا على ظهرها ، وميتا فى بطنها وجعلت له مسجداً ماعدا المقبرة والحمام ، وكذلك جعلت له طهوراً ، فوضع أشرف الأعضاء عليها وهو الوجه ، أقل مايجب على الإنسان نحو خالقه يتجلى ذلك فى قوله تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا »(١)

وقد أخبر سبحانه عن سجود جميع المخلوقات جامدها وحيها وصامتها وناطقها فقال عز من قائل :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(٢)

فأخبر سبحانه عن إيمانهم بعلوه وفوقيته وخضوعهم له بالسجود وتعظيما وإجلالا ثم أذن له أن يخرج من الصلاة بالتسليم على صاحب الرسالة ، ومن جاء الخير على يديه ، وعلى من شاركه فى هذه العبودية ، ثم يشهد شهادة الحق التى من أجلها خلق الجن والإنس ثم يصلى على من علم الأمة هذا الخير ثم

---

(١) سورة المرسلات ٢٥، ٢٦

(١) سورة النحل ٤٩ ، ٥٠

ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب ، فإذا انتهى من ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة .

من كمال الصلاة : الإفتراش في خمس جلسات ، وهي الجلوس بين ...دتين الجلوس للتشهد الأول المسبوق ، جلوس الساهي جلوس المصلي ...امة، والإفتراش أن يجلس المصلي على كعب يسراه بحيث يلي ظهرها الأرض ، وينصب يمناه ، ويضع أطراف أصابعه مستقبلة القبلة .

وأما في الجلوس للتشهد الأخير ، فإنه يفترش ، ويزيد على الافتراش أن يخرج يسراه من جهة يمينه ويلصق وركه بالأرض .

الصلاة فيها دنيا ودين

وليس أدل على ذلك من أنه سبحانه وتعالى جعل أساس صحتها النظافة من وضوء واغتسال من الجنابة والحيض والنفاس ، ونظافة الأطراف كل صلاة لأنها محل الكسب، وعليها عماد الحياة ، فالوجه فيه السمع والشم والذوق، واليدان بهما الأخذ والعطاء، والرجلان بهما المشى والرأس التى حوت المخ وقد اكتفى بمسحه لئلا يكون فى غسله حرج ومشقة مما ينافى ما اختصت به الشريعة الإسلامية من السماحة ، ولهذا جاء الدعاء التى ختمت به سورة البقرة :

« رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »[1]

ثم أمر أن يجلس فى آخر صلاته جلسة المتخشع المتذلل المستكين جاثيا على ركبتيه ، ويأتى فى هذه الحالة باكمل التحيات وأفضلها عوضاً عن تحية الناس لملوكهم ، وأن الصلوات بجميع أنواعها والطيبات كذلك من الأقوال والأفعال هى لله وحده ، ولما كان السلام من أنواع التحية شرع لأن يكون

---

(١) سورة البقرة ٢٨٦

خاتمة الصلاة التى اشتملت على التكبير والحمد والثناء والتمجيد ، وتوحيد الربوبية والإلهية ثم يستعيذ بالله من عذاب البرزخ وأسباب الفتنة فتنة الحياة من مغريات الفسوق والمال والولد ، وفتنة الممات ، وفتنة الدجال ففتنة الحياة يمكن تتدارك وفتنة الممات والدجال لا تداترك ولذلك تسمى الفتنة الكبرى ، ولذلك يرى بعض العلماء أن هذا الدعاء واجب فى الصلاة كالتشهد وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا فرغ أحدُكم من التشهد الأخير فليتعوّذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال أخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة .

ومن الأذكار الواردة قبل السلام : « اللّهم إنى ظلمتُ نفسى ظلما كثيراً وإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت فاغفرْ لى مغفرةً منْ عندك وارْحمنى إنك أنتَ الغفور الرحيم » .

ومنها : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وأما بعد السلام فالاستغفار ثلاثاً ثم يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ، اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

هذا وقد وردت أحاديث تنبىء أن الدعاء يكون أقرب إلى القبول فى انتهاء الصلاة وفى جوف الليل ، وبين الأذان والإقامة ، وفى السجود ، والدعاء يكون كما قال تعالى :

« ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً(١) وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ »(٢)

كما أنه يكون بجمل مفيدة أما لفظ واحد كان يذكر اسماً من أسماء الله تعالى من غير أن يتم الجملة فلا يكون دعاء ولا ذكراً مثل من يقول الله أو يالطيف لأن الأذكار الواردة فى القرآن والسنة لم تأت بلفظ واحد .

وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم يخففها فى السفر حتى كان ربما قرأ فى الفجر بالمعوذتين وكان يخفف إذا سمع بكاء لصبي والتوسط غالبا ، ولم يحفظ عنه أنه كان يسكت بعد قراءة الفاتحة حتى يقرأها من خلفه ، والراجح أن الفاتحة تسقط على من يسمع قراءة الإمام فإنه ينصت له أما من لا يسمع قراءة الإمام فإنها لا تسقط عنه بحال سواء كانت الصلاة جهرية أم سرية ، ونقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ فى فجر يوم الجمعة سورة «الم تنزيل» فى الركعة الأولى ، وفى الثانية « هل أتى على الإنسان » كاملتين .

وكان يسجد حين تلاوة :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ »(٣)

وكان يقرأ فى صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين كاملين ولم يقتصر على

---

(١) التضرع : التذلل ومنتهى الخشوع . خفية : بعيداً عن الناس لأنه أبعد عن الرياء . المعتدين : الرافعين أصواتهم والمبالغة بمالا

(٢) سورة الأعراف ٥٥

(٣) سورة السجدة ١٥ .

أواخرهما وفي العيدين بسورة « ق » واقتربت الساعة كاملتين وكان يقرأ في صلاة السر سورة فيها السجدة أحيانا فيسجد للسجدة ، ويسجد معه من خلفه وأحيانا يقرأ في الظهر قدر ألم تنزيل السجدة أو نحو ثلاثين آية ومرة كان يقرأ فيها « بسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشى ، والسماء ذات البروج والسماء والطارق ونحوهما من السور ومرة بلقمان والذاريات وكان يطيل الركعة الأولى من كل صلاة على الثانية ، وكانت قراءته في العصر في الركعتين الأولتين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية وكان يقرأ في المغرب بالأعراف تارة وبالطور تارة والمرسلات تارة وبالدخان تارة ، وكان يقرأ في عشاء الآخرة بالتين والزيتون وإذا السماء انشقت ويسجد فيها ، ومن خلفه ، وبالشمس وضحاها ، وكان إذا فرغ من القراءة سكت هنيهة قبل الركوع ، ولم ينقل عنه أنه قرأ بآية من سورة أو بآخرها إلا في سنة الفجر فإنه كان يقرأ فيها بهاتين الآيتين :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا »(١)

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ (٢)

---

(١) سورة البقرة ١٣٦ .

(٢) سورة آل عمران ٣٤

مشروعية الصلاة

تبدأ الصلاة بـ « الله أكبر » كلمة جمعت كل معانى العبودية، وأصول الثناء فإذا ماقالها المصلى متدبرا معناها امتلأ قلبه إيمانا وعزا ، وصغر فى عينيه كل مايطلبه الناس من متع الحياة الدنيا نعم فهو أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وما سواه صغير ، فكأن المصلى يعلن أنه تجرد عما كان فيه وانسلخ عنه ، وأقبل على ربه ، قولا بتكبيرة الإحرام ، وفعلا برفع يديه عما تنبىء عن أنه طرح كل مايشغله وراء ظهره وأى شىء أجل وأعظم من وضع المصلى أشرف أعضائه وهو الوجه على الأرض التى هى مذالة الأقدام ، ويتذكر علو الله ، وقد صار أعلاه أسفله تلك الأرض التى منها خلق ، وفيها إعادته ، ومنها خروجه إلى رب العالمين ، فهى أمه وأبوه ، وأصله ، وفصله ، وقد ضمته حياً على ظهرها وميتا فى بطنها وجعلت له طهورا ومسجداً ، فسجوده عليها وتعفير وجهه فى التراب يذكره بأصله ، فلا يخرج عنه .

وإن من الجحود الآثم أن ينسى الإنسان أصله ، فيتكبر على بنى جنسه ، قال تعالى :

« تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(١)

---

(١) سورة القصص ٨٣

وقد جعلها الله سبحانه ، مثنى وثلاث ورباع ، لتكون كأجنحة الملائكة فكأنه سبحانه أراد أن يجعل الصلاة للمصلي أجنحة يطير بها إلى الله تعالى ، كما أنها جمعت بين أنواع العبادة التي تفرقت في صفوف الملائكة الذين منهم الراكع والساجد والقائم والمسبح بحمد الله ، فجمع الله فيها من القراءة والتسبيح والركوع ، والسجود ، والثناء ، والدعاء ، ليحظى المصلي بالفضائل كلها وكونها في خمس أوقات ، لأنها بمنزلة الدواء للمريض ، يكرر عندما يخشى صولة المرض كذلك إذا ماغشينا بعض الشهوات ، أو نزلت بنا بعض الغفلات نحو أزلناها بالصلاة ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : يا بلال أرحنا بالصلاة ، قال تعالى :

« إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلاَّ الْمُصَلِّينَ »(١)

فهي في مجموعها توقظ الضمير ، وتحيي الوجدان ، وتقوي في المصلي الحياء من الله والاستغراق في عظمته ، وتغسل القلوب من الضغائن وتصقلها من صدأ الخبث والرذائل ، وتطبعها على مكارم الأخلاق ، وتغرس في النفوس الصدق والأمانة اللذين بهما تصفو النفوس من الشرور والآثام ، وتذل النفوس العاتية إلى خالقها فلا تعلو على غيرها ولا تشمخ بأنفها على أحد من خلق الله ، وفي اجتماع المصلين في بيت الله تعالى حول إمامهم توثيق لعرا المودة وتبديد للوحشه فكلما تلاقت الأجسام اتصلت القلوب بروح المحبة ،

---

(١) سورة المعارج ١٩ - ٢٣

وتربطها برباط الإخاء وتجمعها على التقوى والخوف من الله فلا يفكر أحد في ضرر أخيه ولا يستعبده ، ومن أجل هذا شرعت الاجتماعات الجزئية في الأوقات والاجتماع الأسبوعي الذي يكون أوسع من الاجتماع الفردي ، ثم الاجتماع السنوي في الأعياد، وبعده اجتماع المسلمين عامة في الحج وبخاصة على جبل عرفات أرض الحرية والاستقلال فهذه الاجتماعات كلها ترمى إلى غرض نبيل ، ومقصد شريف ، فيها دراسات حال الأفراد والجماعات حتى يقف الغني على حال الفقير فيوسع عليه ، والعـــالم على الجاهل ، فيعلمه ، والقوى على حال الضعيف فيزيل مابه من ضعف ، ومايفتات المجتمع من شرور وأضرار .

ومن مشروعية الصلاة أنها تربي نفوسنا على الصبر والنظام تربية عملية، يعجز عن فعلها أكبر المربين والمربيات ، فالصبر والنظام سر من أسرار الصلاة ، لهذا جعل الشارع الحكيم أركانها مرتبة لو أتى المصلى بركن قبل الآخر أو أحدث قبل السلام بطل جميع ماعمله وقد وصف الله المصلين بأنهم من أهل الصبر ، وحكم على أهل الهلع والجزع بأنهم غير مصلين قال تعالى :

« إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ، إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (١)

تقرير للنظام ، وغاية الحكم ، ومنتهى الإبداع ، فهلا كان لهذا أثر في

---

(١) سورة المعارج ١٩-٢٣

حياتنا الاجتماعية بل أعمال مختلة وحركات مضطربة وسقيمة لاتدرك للنظام معنى .

وهذا راجع إلى ان الصلاة عبارة عن صور وحركات عالية من روح الإخلاص والطمأنينات وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « أرحنا بالصلاة يا بلال » رواه الإمام أحمد .

لما يحس بها من الرحمات والفتوحات والانسلاخ عن عالم الماديات والظلمة والاستغراق فى عظمة رب الأرض والسموات(١) .

وبدهى أن المنزل الذى يوالى كنسه وتنظيفه فى أوقات معينة يكون أقرب إلى الطهارة وأبعد عن القذارة من المنزل الذى نترك نظافته للظروف .

بعد كمال الطهارة وسماع الأذان ، وإذا لم يسمعه يؤذن لنفسه .

ثم ينوى بقلبه مايريد أن يصليه ، ولا يتلفظ بالنية لأنها عمل قلبى والله تعالى يعلم السر وأخفى والنطق بها مكروه ، ثم يستأذن على ربه «بالله أكبر»

---

(١) فالصلاة فيها من شرف الوقوف بين يدى الله أحكم الحاكين ، يناجيه بكلامه القديم ويثنى عليه بما هو أهله ، وهو يعلم أنه سميع له وبصير به ، فيخصه بالعبادة ، ولا يطلب المعونة إلا منه ، ويستمنحه الهداية والتوفيق ، حتى يكون من الذين أنعم الله عليهم . فليس من شك فى أن هذه المعانى تسمو بالنفس إلى أعلى ذروة المجد والعز ، وتحررها من ربقة الذل والخنوع إلا إلى خالق كل شىء .

ويرفع يديه إيذانا بأنه أقبل على ربه وأسلم جوارحه وقواه له عز وجل ، وأعرض عما سواه ، وانفصل عما كان فيه من أعمال الدنيا وصغر فى عينيه كل ما كان يطلبه الناس من مال وسلطة وجاه وولد ، وعظم الخالق فى نفسه فيالها من كلمة جامعة لمعانى العبودية وأصول الثناء ! ! فيها كل معانى العبادة تشعر النفس بأنه أعظم من كل عظيم ، وكل ماسواه حقير ، ملك الملوك ، الأرض وماقلت ، والسموات وماأظلت ، عنت لجلاله ، وخضعت لسلطانه فلو أن المصلى راعى هذه المعانى عند النطق بها لامتلأ قلبه عزا وإيمانا بالله واستصغارا لما سواه ولتجرد من الملق والرياء ونذالة النفس فى الحصول على حطام الدنيا(١) .

---

(١) وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائما يحذر أصحابه من أن يسبقوه أو يؤدوا معه الأركان ، ولذلك كانوا لايركعون إلا إذا ركع وأتم ركوعه ، ولا يسجدون إلا إذا وضع جبهته فى الأرض ، ولا يقومون إلى الركعة إلا إذا أتم قيامه بالفعل .

صلاة الجماعة

صلاة الجماعة : إن مما تهاون فيه كثير من الناس وخالفوا فيه هدى نبيهم هجر الجماعات فى المساجد ، وهذا جهل بين وغضب من العزيز الحكيم ، ولو علموا خطرها ، وما أعده الله تعالى من الثواب لمن فعلها والعقاب لمن تركها لأتوها ولو حبوا ففى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم . فى الصحيح عن أبى هريرة .

لهذا كان لا يتخلف عنها زمن الرسول إلا منافق حتى كان الرجل يهادى بين الرجلين ليقيمه فى الصلاة ، ومع هذا الوعيد الشديد فقد جاء عن جابر رضى الله عنه قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم : بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يارسول الله : قد أردنا ذلك فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (يابنى سلمة دياركم تكتب آثاركم، فقالوا مايسرنا أنا تحولنا .

ذلك بأن الله تعالى جعل بكل خطوة يخطوها المصلى إلى المسجد درجة يرفعه بها ويحط عنه بها خطيئته وكيف يتخلف عنها من كان سليم الجسم خاليا من العاهات لا يجد فى سبيلها مشقة ولا إعنات .

ومما خالف الناس فيه أمر ربهم سبق الإمام فى الصلاة كما قال الرسول

صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار » رواه الإمام أحمد .

ومن تعاليمه صلى الله عليه وسلم أنه كان : « ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم وإياكم وهيشات (١) الأسواق » رواه النسائى وغيره . وكان كذلك يقول : « اقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدى إخوانكم ، لاتذروا فرجات للشيطان ، ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله » أحمد

وفى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال :

« خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ألا تصفونه كما تصف الملائكة عند ربها ، فقلنا يارسول الله : وكيف تصف الملائكة عند ربها ! قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف »

رواه مسلم .

وكان بلال يسوى الصفوف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويضرب عراقيب الصحابة بالدرة حتى .

وقد اتفق العلماء على أن السبق فى تكبيرة الإحرام والسلام يبطل صلاة المأمومين ، أما فى غيرها فحرام ، أما المساواة فمكروهة .

ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة .

---

(١) هيشات اضطراب .

نصائح عامة

١ — السترة :

ينبغى للمصلى أن يتخذ سترة أمامه ، وهى قدر ثلثى ذراع ويدنو المصلى منها ، ولا يزيد ما بينه وبينها على ثلاثة أذرع ، فإن لم يجد شيئا ينصبه أمامه يضع أى شيء أمامه ، ويحرم المرور داخل السترة ، وكذلك يحرم المرور ما بين موضع سجوده وقدميه ولو من غير سترة وهذا الحكم فى كل صلاة : نافلة أو فرضا وعلى المصلى أن يدفع المار بيده . والحكمة فى السترة كف البصر عما وراءها ، ومنع من يمر بينه وبينها ، والأفضل أن تكون السترة بينه وبينها قدر مكان السجود .

هذا وقد ورد الوعيد الشديد فى من يمر بين يدى المصلى ، منها ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولو يعلم المار بين يدى المصلى ، ماذا كان عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه) رواه أهل السنة .

٢ — من الناس من يصلى ويسرع فى صلاته فلا يطمئن فى أركانها الطمأنينة التى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم فى صلاته ويظن أنه يكفى فيها سكون بين حركتين وهذا خطأ ولا صلاة له .

قال الرسول صلى الله عليه (مثل الذى لا يتم صلاته مثل المرأة التى حملت حتى إذا دنا نفاسها أسقطت فلا حامل ولا ذات إرضاع) .

ولو أن هذا المصلى أتقن صلاة الفرض خير له من أن يصلى النوافل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثلُ المصلى كمثل التاجر لا يخلُصُ له الربح حتى يخلص له رأس المال ، كذلك المصلى لا يقبل الله نافلة حتى يؤدى الفرائض .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم أمر من صلى وحده خلف الصف أن يعيد الصلاة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلى خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة رواه الإمام أحمد وأهل السنن وأبو حاتم وابن حبان فى صحيحة وحسن الترمذى .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى الأحوال الآتية بعد الصبح حتى ترتفع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغيب الشمس ، وعند الزوال حتى تميل واستثنى الشافعى الصلاة التى لها سبب كتحية المسجد وسنة الوضوء .

السهو فى الصلاة

قد يسهو المصلى وجل من لا يسهو وقد شرع الله لنا أحكام السهو وهى : فإن كنت مأموماً وراء إمام فسهوك محمول عليه ، واصرف نظرك عن سهوك فصلاتك مرتبطة بصلاة إمامك وليس عليك إلا متابعة إمامك ، فإن سها إمامك لزمك متابعته فى سهوه ولو لم يكن منك سهو إلا إذا قام إلى ركعة زائدة فى الصلاة ، بيقين منك فسبح له فان رجع عنها فبها ونعمت، وإلا فانتظره حتى يفرغ منها حسب إدراكه هو ثم تجلس وتتشهد وتسجد للسهو قبل السلام أو بعده ، فاذا سجد فاسجد أنت معه متابعة له وإن لم تسه أنت .

أما إذا كنت إماما أو منفردا فسهوت ، فى صلاتك فلم تدر أثلاثا صليت أم أربعاً فاجعلها ثلاثا لأنها اليقين ، وابن على هذا اليقين وكمل صلاتك واسجد فى آخرها سجدتين كسجدتى الصلاة تمام قبل السلام أو بعده وكذلك إذا سلمت من اثنتين فى صلاة ثلاثية أو رباعية وانحرفت عن القبلة وكلمت الناس لأنك تظن أن صلاتك قد تمت ثم علمت بتعليم الناس إياك أو من نفسك أنه ليس عليك شىء من الصلاة فعد إلى الصلاة مستقبل القبلة واكمل صلاتك بانيا على مامضى منها واسجد سجدتى السهو بعد التشهد وإذا كنت فى صلاة ثلاثية أو رباعيه فسهوت عن التشهد الأول الذى بعد الركعتين وقمت منه إلى الثالثة سهوا وتم قيامك فلا ترجع إليه وإن

سبحوالك وليقم من ورائك تبعا لك واسجد بعد التشهد وقبل السلام سجدتى السهو إرغاما للشيطان الذى وسوس لك حتى سهوت عن هذا التشهد فترغم أنفه بسجودك لله تعالى .

وقد قرر الفقهاء بسجود السهو لكل سهو يقع فى الصلاة بزيادة لوفعلها عامدا بطلت صلاته — وقالوا به فى الجهر بالقراءة فى الصلاة السرية ، وبالإسرار فيها بالصلاة الجهرية وهكذا جدا فحسبك ماورد ففية البركة والكفاية .

العيدان

فى عيد الفطر شرع صلاة العيد جماعة ، وللمنفرد ، والعبد والمرأة والمسافر ويشترط للصلاة مايشترط لصلاة الجمعة ، يكبر فى الأولى سبع تكبيرات قبل القراءة ، وفى الثانية خمسا كذلك ، والأفضل أن تكون خارج البلد لأجل كثرة الناس ، ويخطب بعدها خطبة ، ومخالفة الطريق والأكل قبل الخروج فى الفطر دون الأضحى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعود يوم الفطر حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وترا ووقتها بعد ارتفاع الشمس قدر رمح إلى الزوال ، ولا أذان فيها ولا إقامة .

وينبغى الاكثار من التكبير ، ويشرع من صبح يوم عرفه إلى عصر آخر أيام التشريق ، وفى عيد الفطر أول ليلة شوال إلى الدخول فى صلاة العيد ، وأما صفة التكبير فأصح ماورد فيه ماأخرجه عبدالرزاق بسند صحيح عن سلمان قال : كبروا الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا ويستحب التجمل بالثياب ، وحسن أن تقرأ فى الركعة الأولى سبح اسم ربك الأعلى ، وفى الثانية هل أتاك حديث الغاشية ، وأحسن منه أن تقرأ فى الأولى ،ق والقرآن المجيد ، وفى الثانية : اقتربت الساعة وانشق القمر ، ويختص عيد الفطر بزكاة الفطر ، ويختص عيد الأضحى بضحية سمينة من غنم أو بقر أو إبل ويشرط أن تذبح بعد صلاة العيد وإلا فليس لمن قدمها ثواب الأضحية بل له ثواب .

صلاة السفر

يقصر المسافر الصلاة الرباعية كالظهر والعصر والعشاء فتنصف وتصير ثنائية ركعتين فقط ولاحاجة إلى كثرة النوافل والرواتب التي تتبع الفرائض فالذي خفف الفريضة يخفف عنك رواتبها وسننها القبلية والبعدية ، وضابط السفر هو مايسمى سفرا ويختلف باختلاف السفر فراكب القطار مثلا إذا سافر إلى جهة لا يحصل فيها مشقة لايعتبر سفرا ، وراكب الماشية مثلا أو الماشي يعتبر سفره سفرا حسب المشقة ولا يحدد بزمان ولا مكان بل مايعتبره العرف سفراً والشخص يعتبر مسافرا مادام نازلا غير بلده ، وفى عزمه الرجوع إلى بلده .

فيه وللمسافر هذا أن يجمع بين الظهر والعصر تقديما وتأخيراً وكذلك المغرب والعشاء فى مدة السفر فقط لافى المدة التي ينزل فيها إلى البلد .

خطبة العيد

الحمد لله الذى جعل الأعياد الدينية مواسم خيرات ، فيها يتجر المؤمن مع رب الأرض والسموات ، وذلك بالأعمال الصالحات ، فيضاعف له الأجر والثواب ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، والصلاة والسلام على من أرسل بين يدى الساعة بشيرا بالنعيم المقيم ، ونذيرا بين يدى عذاب شديد محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد — فيا أيها المصلون إن الله تعالى شرع الإجتماعات الدينية لتجدد الإيمان فى القلوب ، وتقوية العاطفة الدينية التى ركزها الله فى قلوب كل إنسان ولتوثيق عرا المودة بين المسلمين وتبديد للوحشة ، واتصال القلوب بروح المودة ، كلما تلاقت الأجسام ، من تلك الإجتماعات تأدية الصلوات الخمس فى بيوت الله تعالى حول إمامهم ، ومنها الإجتماع الأسبوعى فى أيام الجمع لاستماع الوعظ والإرشاد . ومنها الاجتماع السنوى فى العيدين لتكبروا الله على ماهداكم وتشكروه على ما أولاكم ، والإجتماع الثالث الاجتماع فى يوم عرفة - يجتمع المسلمون جميعا فى هذا المكان المقدس يتعارفون ويتآلفون ويقف كل منهم على ماعنده من نقص فيتداركه من الآخر ، ولا تقف الحكمة على هذا بل هناك حكم كثيرة أهمها الاستماع إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، فإن الوعظ يذهب عن الروح أسقامها ، ويأسو جراحها ، فكم من روح سقيمة ونفس مهمومة وجدت فى ثنايا الحكمة دواء لآلامها ، وشفاء لمرضها فتورده موارد الهلاك فنعمت بعد شقاء ، ونجت بعد عناء قال تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ (١) لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ »

المعنى الإجمالى

يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى صدوركم من الوساوس والشكوك ، وهدى ورحمة للمؤمنين ، وقل لهم يا محمد إنما يحسن الفرح بمجيء فضل الله ورحمته فهى خير مما يجمعون من المال لأن المال عارية مستردة ، وعما قليل يزول ، وما عند الله خير وأبقى .

لهذا عنى المسلمون كل العناية بالعمل والعلم ، فما كاد الرسول صلى الله عليه وسلم يجاور ربه حتى انقلبوا فى رحاب الكرة الأرضية ينشرون الدين، ويفتحون البلاد ، ويتلمسون العلم من مختلف أبوابه مسوقون بنا بل من دينهم إلى طلب مايكسبهم الرفعة والعزة والمجد ، محفوزون أشد الحفز إلى مافيه خير لدينهم ودنياهم ، فكان شعارهم : الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها لهذا انتشر الإسلام فى سرعة البرق فى معظم ممالك الدنيا ، وبسط ظلال الأمن فى كل البلاد التى فتحوها مما أدهش القواد الفاتحين ، وكبار المؤرخين .

هذا ولما كان الإنسان مركباً من جسم وروح فلا يكون إنساناً بالمعنى الصحيح إلا إذا كان بينهما توازن وذلك لا يكون إلا إذا راض الإنسان

---

(١) سورة يونس ٥٧

نفسه بالإتصال بربه ، والانقطاع عن عالم الماديات فى فترات من الحياة .

لهذا لم يجرد الله تعالى الدنيا من رسل مبشرين ومنذرين ووعاظ دائمين قال سبحانه : « وإنْ مِنْ أمَّةٍ إلاَّ خلا فيها نذيرٌ (١) وهل جعل الله تعالى لكل أمة من الأمم يوما يتفرغون فيه إلى العبادة ويجتمعون فى بيوت الله حول إمامهم إلا لعلاج النفس من طغيان المادة فيختل توازنه ، ويكون إلى الحيوان أقرب ، وبدهى أن النفوس الجامحة لايصرفها عن غيها قانون ولا نظام إلا الوعظ والارشاد ، فكم من نفس شريرة وجدت فى ثنايا الوعظ مايخفف من شرها ، ودواء لأسقامها؟ وكم من روح صدئت بالهموم ، فأذهب الوعظ همها وجلا أصداءها .

وإن مكافحة المعاصى بقانون يجعل لها من اللذة والإغراء مايدفع الكثيرين إلى مقارفتها وقديما قيل : أحب شىء إلى النفس مامنع ولو حرم على الناس جماجم الجمر لقال قائل : لولا أذوقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف . وفى كلٍّ خيرٌ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولاتعجَز ، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قلْ : قدَّر الله وماشاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم عن أبى هريرة .

---

(١) سورة فاطر ٢٤

المعنى الإجمالى للحديث :

المؤمن القوى لأنه إذا كان قوى الجسم يدفعه إيمانه إلى قوة الارادة والعزيمة والأعمال الأخروية والقيام بحقوق الله وحقوق عباده ، وأن يكون حريصاً على ماينفعه فى دنياه وآخرته وأن يحذر العجز والكسل والقعود عن العمل ، والضعيف على العكس من ذلك إلا أنه لايخلو من خير .

صلاة الكسوف والخسوف

إذا رأيت الشمس فى يوم صحو آخر الشهر العربى ، أورأيت القمر فى ليلة فى نصف الشهر القمرى أخذ نورهما يضعف ، أو يمحى تماما فيحسن أن تصلى ركعتين صلاة الكسوف أوالخسوف وذلك بأن تصلى ركعتين كل ركعة ركوعان وقراءتان وقيامان واعتدالان تصليهما جماعة وهو أفضل أو فرادى إن لم تتيسر الجماعة ولك أن تصليها ركعتين كركعتى الوضوء .

صلاة الاستسقاء

عند انقطاع المطر يخرج الناس وعلى رأسهم إمامهم متواضعين متبذلين ؛ تاركين ثياب الزينة ولابسين ثياب الخدمه محولين جميعا أرديتهم ، من جعل الأيمن أيسر ، والأيسر أيمن يصلى بهم الإمام ركعتين ، وبعدهما خطبة ، تتضمن الذكر والترغيب فى الطاعة والزجر عن المعصية ويكثر الإمام ومن معه من الاستغفار والدعاء برفع الجدب ، ومن الأدعية الواردة ما يأتى : اللهم أغثنا اللهم أغثنا « اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا طبقا غدقاً عاجلا غير رائث ومنها : « اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت الغنى ، ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين .

هذا ولما كان التوسل بدعاء الحى جائزا ومشروعا ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الأدعية فينزل المطر فلما انتهى الرسول إلى جوار ربه ولم يؤذن لهم أن يطلبوا من الرسول الدعاء بعد أن جاور ربه وقد استشفع عمر بالعباس رضى الله عنهما فقال : « اللهم إنا كنا إذا قحطنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فدعا العباس وهم يؤمنون على الدعاء فسقاهم الله .

هنا يخطىء الكثيرون فى فهم هذا الحديث فيستدلون به على أن التوسل بالأشخاص جائز ولكن الحقيقة أن الحديث يجيز التوسل بدعاء الحى لا لشخصه دليل ذلك أنه دعا لهم وأخذوا يؤمنون على دعائه وثانيا : أن عمر لم يذهب إلى قبر الرسول ويطلب منه أن يدعو لهم كما كان يدعو لهم .

ومعروف أن التوسل المشروع يكون فى ثلاثة أولها بصفة من صفات الله ، وثانيها لعمل الشخص نفسه .

ثالثاً : بدعاء الحى لا بدعاء الميت لأنه لم يصح أن الميت يدعو الله بل إننا ندعو له .

أن الميت مهما كانت درجته لا يملك الدعاء ، ولو كان يملك كان عمر أسبق الناس إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يدعو الله لهم بدلا من عمه العباس الحى .

١ ـ معانى مفردات الحديث :

مريئاً : محمود العاقبة « مربعا » هو الذى يأتى بالربيع (طبقا) هو المطر العام بفتح الطاء والباء أى مستوعبا الغدق : الماء الكثير « الريث » الإبطاء « والرائث المبطى » .

سجدتا الشكر والتلاوة

أولا : سجدة الشكر عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمه ، أما النعم المستمرة فشكرها يكون بالعبادات والطاعات ، دليل ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه أمر يسره خر ساجدا شكرا لله تعالى أو أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم قام وخر ساجدا ، وكذلك سجد أبو بكر حين جاءه قتل مسيلمة الكذاب وسجد كعب بن مالك لما بشر بتوبة الله عليه ، وسجد على حين وجد ذا الثوبة فى قتلى الخوارج .

ثانيا : سجدة التلاوة :

تستحب للقارىء والسامع وتتأكد عند سجود القارىء ، وقد سجد عمر رضى الله عنه مرة وهو على المنبر ، ومرة لم يسجد ، وقال : يأيها الناس إنما نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه رواه البخارى .

وجاء فى زاد المعاد أنه صلى الله عليه وسلم ربما قال فى سجوده : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، اللهم احطط عنى بها وزراً واكتب لى بها أجراً ، واجعلها لى عندك ذخراً ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ، وقد اختلفت الروايات فى تحديدها ونختار منها أربع عشرة : سجدتا الحج الأولى عند قوله : « إن الله يفعل مايشاء » الثانية : عند قوله : وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، الثالثة : فى آخر الأعراف ويسبحونه وله يسجدون والرابعة : فى آخر العلق « كلا لاتطعه واسجد

واقترب ، والخامسة : فى آخر النجم « فاسجدوا لله واعبدوا » والسادسة : عند قوله تعالى : بالغدو والآصال والسابعة فى مريم عند قوله : خروا سجداً وبكيا والثامنة : فى الفرقان عند قوله : وزادهم نفورا والتاسعة : فى النمل عند قوله : رب العرش العظيم والعاشرة : ألم تنزيل عند قوله : وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون والحادية عشر فى الانشقاق عند قوله : لايسجدون والثانية عشر : فى الإسراء عند قوله : ويزيدهم خشوعاً والثالثة عشر فى فصلت عند قوله تعالى « إن كنتم إياه تعبدون » والرابعة عشر فى النحل عند قوله : ويفعلون مايؤمرون .

أما اشتراط الوضوء لهما فيرى جمهور العلماء وجوبه ، وهناك طائفة من المجتهدين لايشترطون فيهما للوضوء لأنهما كالذكر والذكر يصح من غير وضوء ، ومن غير طهارة جنابة دليل ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا سجد يسجد معه الصحابة جميعهم من غير أن يذهب أحد للوضوء أو يأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قول وجيه مقبول ، ويرى صاحب سبل السلام أن الأرجح عدم الطهارة بعد أن ذكر الخلاف فى ذلك .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجعل الخطبة الثانية من أيام الجمع سورة ق حتى أن أم هشام بنت حارثة رضى الله عنها قالت : حفظت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب يتوكأ على عصا ، أو قوس ، أوجذع نخلة على عادات قومه ولم يزد على ثلاث درجات حتى لايفرق بين المصلين ولايحجب الإمام عن بعضهم .

كيف تؤدى السجدتان

اختلف العلماء فى كيفية الأداء ، والراجح أنهما : بنية قلبية ، وتكبيرة افتتاح ، وسجود كسجود الصلاة ، وليس فيها تكبيرة للرفع وقيل فيها تكبيرة الرفع من غير رفع يد ولا تشهد ولا سلام .

وإذا كان مأموما لا يسجد إلا إذا سجد إمامه ، نعم أجاز بعض العلماء الذى سمع آية من آيات السجود ، أو قرأها أن يسجد بعد انتهاء الصلاة ، وليكن معلوما للقارىء أن سجود التلاوة يكون فى الصلاة ، وخارج الصلاة أما سجود الشكر فلا يكون إلا خارج الصلاة .

حكم صلاة الجمعة

صلاة الجمعة واجبة على كل مكلف ، من الرجال الأحرار الحاضرين ، لا المسافرين وقد توعد تعالى من تاركها شر وعيد قال صلى الله عليه وسلم « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه » لأبى داود وغيره .

ويشترط لها الجماعة وخطبتان بعدها ولا يشترط فيها عدد معين بل الكل مايصدق الجماعة ولو ثلاثة ـ كما أنه لا يشترط الإمام الأعظم ، ولا المصر الجامع بل تصح فى أى مكان وكل ماقيل فى العدد وغيره لم يقم عليه دليل ، ووقتها وقت الظهر ، ومن أدرك ركعة منها فقد أدركها ، وإلا نويت جمعة ، وصليت ظهرا ، ولم يكن لها ركعتان قبلية كالظهر ، والأدلة موجودة فى كتب السنة ، ولكن لها ركعتان بعدية إذا صلاهما فى المنزل وأربع إذا صلاها فى المسجد ، والكل سنة ، وسن ركعتان عند دخول المسجد ينويهما تحية المسجد ، ويصليهما ولو كان الإمام يخطب ، والأدلة ذكرتها فى البيان .

وهذا هو الراجح لأن تحية المسجد تحية لله ، وأما الوعظ فهو بالنسبة لتحية الله ولا يكاد يذكر ، وقد جاء فى حديث صحيح فى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أمر أحد الصحابه أن يصلى ركعتين وكان الرسول يخطب .

ومن البدع أن يرتب قارىء الكهف فى هذا اليوم ليسمع الحاضرون ، وهذا خطأ إذ الوارد أن كل واحد يقرأ الكهف إن كان يحسن القراءة

أو يذكر الله ، أو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سرا حتى لا يشوش على المصلين ، والإنصات للقراءة واجب فى غير هذا اليوم ، بل الذكر أفضل ويحرم تخطى الرقاب إلا الإمام أو لم يجد المصلى فرجة يصلى فيها إلا إذا تخطى الرقاب .

أحكام يجب معرفتها :

أولا : صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة لا تصح إلا لمن فاتته صلاتها ، وقولهم : الجمعة لمن سبق ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليس عليه دليل .

ثانياً : إذا وافق يوم الجمعة أحد العيدين يكفى حضور أحدهما لأن المقصود الاجتماع وسماع الوعظ وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم لمن حضر معه صلاة العيدين بأنه بالخيار فى الحضور إلى صلاة الجمعة معه فلاحرج عليه إذا تركها وصلى الظهر :

ثالثا : صلاة الجمعة على المكريفون باطلة لأن المقصود أولا وبالذات الاجتماع ، كما بينا فيما إذا وافق يوم الجمعة أحد العيدين .

هذا وقد وردت أحاديث فى فضل صلاة الجمعة منها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيرُ يومٍ طلعتْ فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه يتب عليه ، وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة . وفيه ساعة لايصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسال الله عز وجل حاجة إلا أعطاه إياها هـــذه الأحكام من كتب السنة ، ومن زاد المعاد لابن قسيم الجوزية .

أحكام الجماعة

إذا كان يصلى مع الإمام واحد يقف بجانبه الأيمن ولا يتأخر عنه ، فإذا ما حضر آخر يتأخر المأموم أو يتقدم الإمام والمنفرد عن الصف لا تصح صلاته ، وصلاة المأمومين بين سوارى المسجد مكروهة بخلاف الإمام والمنفرد .

أما إذا كان يصلى امرأة فإنها تصلى وراءه ، ولو كانت أما والأرجح أن المأموم لا يقرأ الفاتحة مادام سمع قراءه الإمام فتسقط مع الفاتحة .

مبطلات الصلاة

تبطل بالكلام الخارج عن الصلاة عمدا ولو قليلا ، وبالاشتغال بما ليس منها بحاجة مثلا وبترك ركن من أركان الصلاة ، أو بترك شرط من شروط الطهارة نعم الكلام لمصلحة الصلاة ، كأن ينبه إمامه لصالح الصلاة ، فلا تبطل كذلك تبطل بالعمل الكثير ، والكثرة ترجع إلى العرف فى ذلك وتبطل بالردة فى ذلك .

حكم المسح على الجوربين

الحمد لله الذى بعث نبيه محمداً ميسرا لا معسرا ، وأرسله بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا فعليه من الله صــلاة وتسليم وعلى آله وصحبه والذين اتبعوه .

أما بعد : فقد سألنى الكثيرون ممن قرءوا مؤلفاتى عن حكم المسح على الجورب فكان لزاما على أن أدرس هذا الحكم وأجليه للسائلين لأن العلماء لم يجمعوا على صحة المسح عليه كالخف ، بل اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً.

هذا ولما كان من مزايا هذه الشريعة أنها جمعت بين حقوق الروح والجسد ، ومصالح الدنيا والآخرة ، والآخرة لاحرج فيها ولا عسر بقلة تكاليفها وسهولة تفهمها ، وإن تعاليمها تنقسم إلى عزائم ورخص ، وأن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه — لما كان ذلك ، رجحت رأى المجوزين المسح ، بعد أن صحت أدلتهم عندى .

ويقول المرحوم السيد رشيد رضا عليه الرحمة والرضوان أنه لما أفتى بصحة المسح على الجورب صلى الكثيرون من المترفين ، والذين يجدون مشقة فى غسل الرجلين كالعمال والضيف والجند الذين يلبسون التساخن وكذلك ما يصيب النساء من القشف ، ونحن لا نثبت الصحة قياسا على الخف ، لأن القياس لايدخل العبادات ، تثبت الصحة بالأحاديث الصحيحة أول

دليل أن الأدلة التى صححت المسح على الخف هى أدلة المسح على الجورب لأن الجورب داخل فى مدلول كلمة الخف ، بدلالة الوضع اللغوى للألفاظ على المعانى .

قام الإمام أبو حزم العالم الفقيه :

« والمسح على كل ماليس فى الرجلين ، مما يحل لباسه مما تبلغ فوق الكعبين سواء كانا خفين أو جوربين . جاز المسح عليه للمقيم يوماً وليلة وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن ، ثم لايحل له المسح إلى أن قال : وممن قال بالمسح على الجوربين جماعة من السلف ثم أسند عن كعب بن عبد الله قال: رأيت على بن أبى طالب كرم الله وجهه » بال فمسح على نعليه وجوربيه ، والأدلة التى ترجح جواز المسح على الجورب من الكتاب قوله تعالى فى الوضوء : « وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » فى قراءة جر لام أرجلكم ، وبدهى أن السنة أصلها كتاب الله تعالى : لأنها تفصيل لمجمله ، وإيضاح لمبهمه ، وطريق من طرق الاستنباط منه يبحثها خبير فانه يجدها فى كتاب الله تعالى ، مدلولا عليها إما من نص آية وظاهرها ، أو مفهومها ، أو إشارتها أو عمومها إلى غير ذلك من وجوه الاستنباط التى يعلمها المجتهد ويذكر .

والأدلة من السنة جاءت فى أحاديث مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى المسح على الجوربين .

وجاء فى رسالة قيمة ألفها عالم الشام محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى ما يأتى : المسح على الجوربين » .

اعلم أن أحاديث هذا الباب منها، ما يستفاد جواز المسح على الجوربين، من عمومه ومنها ما يستفاد من خصوصة . فمن النوع الأول وهو ما يستفاد من عمومه ، وإطلاقه جواز المسح على الجوربين — حديث ثوبان رضى الله عنه .

قال الإمام أحمد رحمه الله فى مسنده فى مسند « ثوبان » رضى الله عنه حدثنا يحي بن سعيد عن ثور ، عن راشد بن سعد عن ثوبان ، قال : بعث رسول صلى الله عليه وسلم سرية فاصابهم البرد ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم شكوا إليه ما أصابهم من البرد فامروا أن يمسحوا على العصائب والتساخين رواه أبو داود .

قال العلامة ابن الأثير فى النهاية : (العصائب : هى العمائم لأن الرأس يعصب بها والتساخين كل ما يسخن به القدم ، من خف وجورب ونحوهما ولا واحد لها من لفظها .

أقول : رجال هذا الحديث ثقاة مرضيون كما يعلم من مراجعة أسمائهم من كتب الرجال ومن النوع الثانى : هو ما ورد نصا فى الجوربين حديثا لمغيرة وأبى موسى.

وأما حديث المغيرة . فرواه الإمام أحمد فى مسنده ، فى مسند الكوفيين فى حديث المغيرة بن شعبة قال : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن أبى قيس عن هزيل .

١ — ابن شرحبيل ، عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على الجوربين والنعلين رواه أبو داود فى سننه فى باب المسح على الجوربين وأخرجه الترمذى ثم إن أحاديث جواز المسح على الجوربين قد تلقاها بالقبول أبو حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل واسحاق وداود الظاهرى وابن حزم .

علاج الوسواس

من الناس من تتغلب عليه خواطر الدنيا فتشغل ذهنه عن التفكير فيما يناجيه فمن كان كذلك فقد هدم الصلاة من عمادها ، وسلبها روحها ، والمقصود منها وهو الخشوع ؛ وقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا فقال : (اللهم إني أعوذ بك من قلب لايخشع) نعم إذا لم تحقق الصلاة معنى ساميا فلا فائدة فيها .

ذلك إنما يريد الله من المصلى أن يروض نفسه وتتخلص من عالم المادة ويتصل بربه ، وتقوى إرادته ، فلا تتغلب عليه الشهوات الجسمية التى تجعل صاحبها إلى الحيوان أقرب ، والإنسان معروف مركب من جسم وروح أو من عالم مادى ، وعالم روحانى ، فالاتصال بالله يحقق فيه معنى الإنسانية الفاضلة .

هذا وقد علم أن من خواص النفس البشرية أنها لاتتجه فى وقت واحد إلا إلى شىء واحد ، وأنها إذا انحصرت فى دائرة لايصل إليها غيرها ، وأن الحواس متى ربطت بمواقع معينة يتبعها التفكير ، وانحصر فى دائرتها .

ومن هنا قال العلماء الذين حاربوا الوسوسة فغلبوها ـ ينبغى للمصلى أن ينظر إلى موضع سجوده ، وهو قائم ، وإلى ظهر قدميه وهو راكع ؛ وإلى أرنبة أنفه وهو ساجد ، فيربط حواسه بهذه المواقع ، ويحصر

فكره فى تدبر ما ينطق به من تكبير وتسبيح ، وقراءة ، وكذلك يذكر أن الشيطان واقف له بالمرصاد يريد أن يفسد عليه صلاته ، فكلما فتح عليه الشيطان باباً من أبواب الدنيا يوطن نفسه أنه واقف بين يدى الله تعالى الذى يعلم ماتوسوس به نفسه ، وأن هذا حق لله تعالى ، فيكافحه المرة بعد المرة . فيخرج من صلاته بعد هذا الجهاد بحظ وفور وسعى مشكور .

وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم (١)

قرآن كريم

من بين المسلمين طائفة لا يعبدون الله تعالى إلا فى شهر رمضان . ويعصونه فى سائر الشهور واهمين أن هذا ينجيهم من عذاب الله تعالى لا عن دليل أقاموه ولا عن علم عرفوه سوى فهمهم الخاطىء بأن رحمة الله تشملهم ولم يعلموا أن رحمة الله إنما تنال من كان أهلا لها لأن الله سبحانه حكيم وليس من الحكمة أن يوضع الرحمة فى غير موضعها قال تعالى :

« وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (٢) » .

كذلك من صفاته سبحانه أنه شديد العقاب ، ودائما يذكر هذا الوصف بجانب أنه رحيم فى كثير من القرآن الكريم ، وبدهى أن العقاب على من خالف أوامر الله تعالى وعصاه .

ويحهم لقد ضلوا سواء السبيل . هلا اعتبروا بما قصه القرآن الكريم الذى أمر بقطع عضو فى الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم وأمر بقتل من أولج حشفة فى غير زوجته قتلا مشهوداً ، لا هوادة فيه وهو الرجم بالحجارة وحرمان إبليس من الجنة بترك سجدة واحدة ، وخروج آدم من النعيم المقيم بأكل لقمة واحدة فكيف يغتر هؤلاء برحمة الله تعالى .

---

(١) سورة النور ١٥

(٢) سورة الأعراف ١٥٦

إن هؤلاء وأمثالهم عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : وليسَ الإيمانُ بالتمنّى ولكنْ ماوقرَ فى القلبِ وصدَّقهُ العمل ، إن قوماً ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا منَ الدُّنيا ولاحسنةَ لهمْ ، وقالوا : نحنُ نحسنُ الظنَّ بالله تعالى ، وكذَبوا ولوْ أحسنُوا الظن لأحسنوا العمل) الحديث مرفوع أخرجه البخارى فى التاريخ .

كذلك يوجد كثير من المسلمين يقضون أيام العيد فى المقابر فنجدهم يعطلون شعائر العيد من صلاة وتكبير واستماع المواعظ عما يخالف هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ولاينفع الأموات إن كان يقصد قراءة القرآن فلم يثبت تلاوة القرآن على المقابر ولم ينقل عن أحد الصحابة ذلك مع أنهم حريصون أشد الحرص على تكريم موتاهم ، وإن كان الذهاب لأجل الصدقة فإن الصدقه لا تقع فى يد محتاج هناك إنما تقع فى يد الذين اتخذوا القرآن حرفة أعنى الدين للدنيا ، نعم زيارتهم الشرعية سنة بحيث لاتعطل شعيرة دينية ، ويكون القصد العبرة والعظة والدعاة لهم بالصيغة الآتية : السلام عليكم أهلَ دَار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقُون نسألُ الله لنا لنا ولكم العافية ويرحم الله المتقدمين منا والمتأخرين) وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم ياأهل القبور : يغفر الله لنا ولكم ، أنتمْ سلفنا ونحنُ بالأثر .

وقد ورد عن الحسن رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بأصحابه إلى بقيع الفرقد وهى مقبرة أهل المدينة فقال : السلام عليكم ياأهل القبور لو تعلمون مانجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، ثم أقبل على أصحابه

فقال : هؤلاء خير منكم) قالوا : يارسول الله : إخواننا أسلمنا كما أسلموا ، وهاجرنا كما هاجروا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا فى آجالنا فما تجعلهم خيراً منا ؟ فقال : إن هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وأنا شهيد عليهم ، وأنتم أكلتم أجوركم ولا أدرى ما تحدثون بعدى) .

قال : فلما سمعها القوم والله عقلوها ، وانتفعوا بها فقالوا : وإنا محاسبون بما جمعنا من الدنيا بعدهم وإنه لمنتقص به من أجورنا فأكلوا طيباً وأنفقوا قصداً ـ وقدموا فضلا من عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم .

شريعة الله الخالدة

كلما تعاقبت الأزمان ، ومرت الدهور والأعوام تجلت آية من آيات الله تعالى ، وظهرت حكمة الله تعالى فى تشريعه فمثلا كان الناس فريقين قبل أن يتقدم علم التاريخ الطبيعى . فريق يقف أمام بعض أحكام الشريعة حيران مبهوتاً ، ولايزال فى شك حيث لم يفهم حكمتها ، والفريق الثانى يؤمن بها ، وليس فى صدره حرج لأنه على يقين بأن عقول البشر محدودة التفكير وأعمال الله فوق الحدود ، ورحم الله القائل : وقد أبهمت علينا أمور لنرجو ونخاف اللهم آمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا .

فمثلا التيمم شرع فى ثلاث حالات : الأولى المرض - الثانية عند فقد الماء - الثالثة فى السفر للمشقة والوضوء للصلاة والطهارة من الجنابة بالماء وذلك للنظافة فكيف يقوم التراب مقام الماء ؟

ولماذا تحرم الشريعة بالرضاع كل مايحرم بالنسب ؟ هذا ولما تقدم علم التاريخ الطبيعى وجدوا أن الإنسان خلق من مادتين المادة الأولى الماء والمادة الثانية التراب فاذا عدم المادة الأولى استمسك بالمادة الثانية وهى التراب الطاهر كما قال سبحانه .

« فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً »(١)

---

(١) سورة المائدة ٦

وفى اللغة : الصعيد يشمل كل ما كان من طبقات الأرض ترابا أو غيره

كذلك وجدوا أن الطفل فى نشأته الأولى يتكون جسمه من لبن الرضاع وعلى هذا فكان جسمه قطعة من جسم أمه وعلى هذا جاءت الحرمة .

فالشريعة الإسلامية شرعها الله تعالى لتصحح للناس أوضاعهم فى الحياة ليعمروا الأرض ويكثر بهم الخير .

فمن ذلك : توزيع أنصباء الإرث توزيعا عادلا فيعطى الورثة أنصبة متفاوته ، ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فى ماله بعد وفاته إلا فى الثلث وهذا كله محافظة على التوازن والاقتصاد قال تعالى

« كَيْ لاَ يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ »(١)

فالشريعة قد قربت الناس بعضهم من بعض ، بالزكاة والوصية ، وغيرهما وحرمت الربا ، لئلا يثرى أحد على حساب غيره والقانون الإنجليزى يحصر التركة كلها للولد الأكبر ، ويحرم من عداه ، وبعض الأمم الأخرى يجيز الوصية لمن شاء سواء كان وارثا ، أم غير وارث ، حتى الكلاب والقطط.

فتشريع الإسلام ما أعد له ؟ يجعل لكل فرد مايحميه ، ويجعل جزءا للمجتمع الذى أقامه على نفسه رقيبا يحميه من شر أفراده ، كما أقام العقل على نفسه رقيبا يحميه ، من شر نزواته ، ونزعاته .

---

(١) سورة الحشر ٧

الدين ضرورى لحياة المجتمع الإنسانى

من رعاية الله تعالى لعباده أنه لم يتركهم سدى من غير أن يرسل إليهم رسلا يبلغونهم رسالات ربهم ويرشدونهم إلى دينهم ودنياهم .لهذا بعث الله فى كل أمة رسولا بشريعة ، وقد ختم الله الشرائع بالشريعة المحمدية وقد افرغ فيها سبحانه فضائل الأديان ، وطوى فيها كل ما ينشد الناس جميعا من ضروب المتاع ، وزينة الحياة ، ولما كانت خاتمة الشرائع ، وكانت شريعة البشرية جمعاء جعل سبحانه فيها عنصر المرونة حتى تساير الأزمان ، وتغالب الأحداث ، ، وتتمشى مع فطرة الإنسان على أصول الحكمة وقواعد النظام ففيها لكل حادثة حكم ولكل مشكلة حل ، ولكل حل هداية فلا يصيبها شلل ولا تدركها الشيخوخة لأنها قائمة على الحقائق العلمية وهى :

عقائد وعبادت وآداب ومعاملات :

أما العقائد : فهى التى تربط الإنسان بالله وباليوم الآخر وكان أستاذها الأول العقل فهى تعتمد عليه فى وجود الله فإن مما يتفق مع العقل الصحيح والمنطق السليم ألا يكون ذلك التصميم البديع إلا من إبداع إله عظيم لانهاية له لتدبيره وإبداعه وعبقريته ، وقد كانوا فى الأزمان الغابرة يستدلون على وجوده سبحانه بوجود هذه المخلوقات ولكن العلوم الحديثة أشد بياناً وأقوى حجة منها والعقيدة هى التى خلقت من الجبان شجاعاً ومن المتعجرف متواضعا .

أما العبادات فإنها أتت من كتاب الله وسنة رسوله وقد شرعها الله تعالى

لتحفظ للعاطفة الدينية قوتها الذاتية حتى تستطيع أن تكبح جماح الرذائل، وتصد تيار الفتن، وتسكن بركان الغضب وتكبت فوران الشهوة.

وأما الآداب: فاستمدادها من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن شرعه، فقد كانت حياته كلها هداية ونورا.

وأفعاله وأقواله جميعها مددا يستمد منه الخلق سدادهم ورشادهم فى معاشهم ومعادهم وكلامه صلى الله عليه وسلم منزه عن اللغو والباطل وإنما كان فى توضيح قرآن أو تقرير حكم أو إرشاد إلى الخير أو تنفير من شر، أو فى حكم ينتفع الناس به فى دينهم ودنياهم لأن أهداف الرسالة المحمدية إصلاح العبد فيما بينه وبين نفسه وبين بنى جنسه وإصلاح المجتمع الإنسانى ولم تشرع العبادات والآداب والمعاملات إلا لتنظيم علاقات الناس بربهم فقط بل تجاوزته إلى تنظيم العلاقة بين بعضهم ببعض بما شرعته من آداب وتشريع ومعاملات فأحلت العقود الصحيحة كالبيع والشراء والمضاربة والإجارة والشفعة والسلم والمزارعة وغير ذلك مما لا غبن فيه ولا حيف لأحد المتعاقدين وحرمت العقود الفاسدة وأظهر قواعد الفقه قاعدة الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه المأخوذة من السنة وسيرة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين، وهى أن أحكام العبادات مبنية على العمل بظاهر الكتاب والسنة وأحكام السياسة والمعاملات مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد دون ظواهر النصوص فإن تعارضا يؤول النص لمراعاة المصلحة». ه.

أما الأمور الإدارية والقضائية والحربية التى تتعلق بسياسة الأمة وشئون الدولة فإنها تجىء من طريق العقل وإسعادهم إلى درجة لم يسبق لها مثيل وتخلف

المسلمين عن ركب الحضارة الحديثة لم يكن إلا من إهمالهم بها ، ولله الحمد قامت فيهم الآن يقظة جديرة بالإعجاب والتقدير فأخذوا ينفضون غبار الكسل والذل الذى لحقهم لأنها شريعة عمل وثورة على القديم الفاسد وجب الماضى القبيح ، أليست تعمل على دعم الإخاء ونشر الحرية والمساواة ورفع منار العلم وتقدير الشورى حتى لا يستبد الرئيس بالمرءوس والحاكم بالمحكوم .

وما يقوله أعداء الدين بأن دين المسلمين دين تسليم فهو قول ليس له أساس من الصحة لأن التسليم عند المسلمين مقرون بالعمل وبالكدح والسعى والتسليم المقرون بالعمل أنفع فى الدنيا والآخرة لأن إفراط المرء فى الاعتماد على نفسه يورطه فى البطر إذا نجح وفى الجزع إذا فشل ، وجماع القول : أن الدين غذاء القلوب وبلسم جراحاته ، ذلك هو المصباح الإلهى الذى ينير الإنسان طريق الحياة ويهديهم إلى الرشد ، ذلك نور العقل الذى يجنبه الشرور .

والدين هو أيسر الطرق للتأثير على نفوس الناس والوصول إلى غرض من الأغراض .

حاجة الناس إلى النبوات

لا تقل شأنا عن الطعام والشراب

لذلك بعث الله فى كل أمة رسولا ، كما قال سبحانه :

« وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِير »(١)

ذلك لأن حاجة الإنسان كثيرة وليست موجودة فى صقع من الأصقاع ولا تستطيع يد واحدة أن تقوم بها لابد من أيدى كثيرة ، وهذا هو رغيف الخبز لا يوجد إلا بعد أيدى كثيرة عاملة زارع وطحان وعجان وخباز وهكذا سائر الأنواع ، والدين ينظم هذا كله إذ أنه لولاه لقعد كل عن تأدية عمله واتكل على غيره وعلى هذا تسود الفوضى وينتشر الفساد ولا يأمن أحد على نفسه ولا على عرضه .

هذا ولولا أن دول أوربا قد نظمت فرق المحافظين على الحقوق من الشحنة والشرطة أتم تنظيم ، وجعلت الجيوش المنظمة عونا لهم عند الحاجة لما حفظ لأحد عندها عرض ولا مال وتفشت بلادها الفوضى والاختلال ولقد كانت الحقوق والأعراض محفوظة فى الأمم من غير وجود هذه القوى المنظمة أيام كان الدين مرعيا فى الآداب والأحكام ولذلك نجد الدين يرفع من شأن العاملين للدنيا والآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثَلُ الصَّانِع الذى يَحتسب صنْعتَه الخير كأمّ موسى تأخذُ أجرَها وتُرضعُ إبنها

(١) سورة فاطر ٢٤

وعلى هذا فلله سنن فى سير الناس يؤدى بعضها إلى الخير والسعاده ، وبعضها يؤدى إلا الهلاك والفساد تلك السنن هى أن لكل عامل ماعمل ، ولكل زارع مازرع حسنت علاقته بربه أو ساءت ، فمن زرع خيرا يوشك أن يحصد خيرا ، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامـــة ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

« لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »(1)

تفيد الآية الشريفة أن الذين يحسنون أعمالهم فى الدنيا لهم حياة حسنة فالتاجر الذى يحسن فى تجارته مثلا بأن يوحد الأسعار ، ولا يغش أحداً فى معاملة ولا تحملن عينه فى وجه امرأة لابد أن يربح فى تجارته كافرا كان أو مسلما ، وأما الدار الآخرة فهى للذين آمنوا وكانوا يتقون ومن هذا أيضا النصر فى الحروب فإنه يكون مع الثبات ومعرفة فنون الحرب والإخلاص والاجتماع وتوحيد القيادة ولذلك قال الإمام على لما هزم المسلمون فى غزوة أحد : (إن هؤلاء قد انتصروا باجتماعهم على باطلهم ، وخذلكم بتفرقكم عن حقكم .

---

(1) سورة الزمر ١٠

من هدى الرسول ﷺ

شهادة النجاشي والبطارقة بصدق القرآن : لما قدم جعفر على النجاشي في مصر وقرأ عليه آيات من القرآن الكريم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وقالت البطارقة حينما سمعت كلام جعفر والدعوة الإسلامية والقرآن : هذه كلمات تصدر من الينبوع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح ولما سأله النجاشي عن عقيدة الإسلام في عيسى قال له : الذي جاء به نبينا أنه عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريمَ العذراءَ البتول ، فأخذ النجاشي عودا و خط به على الأرض وقال وقد بلغت به المسرة أبلغَ سرور وقال :

ليس بين دينكم وديننا أكبر من هذا الخط ، قال صلى الله عليه وسلم : لا تصاحبْ إلا مؤمناً ، ولا يأكلْ طعامك إلا تقى أحد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يُبْسَطَ له في رزقه أو يُنسأ له في أثره فليصل رحمه ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا قال حامل راية الأنصار سعد : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال الرسول صلى الله عليه وسلم كذب سعد ، هذا يوم تعظم فيه الكعبة وأخذ الراية منه وأعطاها لابنه (قيس) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ليَسْترجعْ أحدُكم في كل شيء حتىَّ في شسع نعله ، فإنها من المصائب ؛ رواه ابن أبي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرُ الناس أنفعُهُم للناس ، القضاعي عن جابر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (يا علىُّ لا تُتْبِعِ النَّظرَةَ النَّظْرَةَ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة ، أبو داود قال صلى الله عليه وسلم : تعوَّذُوا بالله من جَهْدِ البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) قال صلى الله عليه وسلم : خمسٌ يعجِّل الله لصاحبها العقوبة ؛ البغى والغدر ، وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر . فى الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساء العالمين : مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وفاطمةُ بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية أمرة فرعون قال صلى الله عليه وسلم : (ثلاث منجيات خشية الله فى السر والعلانية ، القصد فى الغنى والفقر ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب) وثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل راكب على بقرة ، التفتت إليه فقالت له لم أخلق لهذا خلقت للحراثة قال : أمنت بالله أنا وأبو بكر وعمر وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعى ، فقال له الذئب : من لها يوم لا راعى لها غيرى قال : آمنت بالله أنا وأبو بكر ، وعمر ، رواه الشيخان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء ، الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت فى الدنيا .

ومنها ما قاله صلى الله عليه وسلم : (أكثر عذاب القبر من البول) رواه أحمد .

ومنها ما قاله صلى الله عليه وسلم (من الذنوب ذنوب يكفرها الهم فى طلب المعيشة) رواه الطبرانى .

ومنها ما قاله صلى الله عليه وسلم (ما جلس قومٌ مجلسا لم يذكروا اللهَ فيه ولمْ يصلُّوا على نبيهم . إلا كان عليهم تِرَة(١) ، فإن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم رواه أبو داود .

وقال أيضا : لاعقلَ كالتدبير ولاورع كالكفّ ولا حسبَ كحُسْنِ الخُلُق) ابن ماجه .

أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وأنا تاركٌ فيكم ثقلين : أولهما كتابُ الله فيه الهدَى والنور ، من استمسك وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأ ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهلَ بيتى أذكّركم والله فى أهل بيتى ، رواه مسلم .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : أن أناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفد ماعنده قال : ما يكون عندى من خير فلنْ أدّخره عنكم . ومن استغنى يغنه الله ومن استعفَّ يعفَّه الله ، ومن تصبَّر يصبِّره الله وما أعطى الله عطاء خيراً له وأوسع من الصبر ، رواه البخارى .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنَّ إبليس قال أهلكتهم بالذّنوب فأهلكونى بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون) رواه ابن أبى عاصم وغيره .

---

(١) الترة : النقص

قال صلى الله عليه وسلم : (اليمينُ على نِيَّة المُسْتحلِف) مسلم وغيره قال العلماء إذا لم يكن المستحلف ظالما وإلا كان على نية الحالف .

قال صلى الله عليه وسلم يؤم القوم ، أقرؤهم للقرآن) أحمد عن أنس .

قال صلى الله عليه وسلم يد الله على الجماعة) رواه الترمذى :

قال صلى الله عليه وسلم يذهب الصّالحون الأول فالأول ، وتَبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يبالهم الله تعالى بالة ، أحمد .

قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى وابدأ بمن تعول ، أحمد وغيره .

قال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدمَ وتبقى معه اثنتان : الحرص والأمل) البخارى وغيره :

المزاح

روى الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقا، فإن طبيعة الإنسان تميل به أحيانا إلى الترويح عنها بالمرح البرىء، والمزاح المباح. وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نجلو عن قلوبنا وأرواحنا ما يعتريها من صدأ فلنستمع إلى هذا الحوار الذى دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين امرأة عجوز طلبت منه أن يدعو لها بدخول الجنة فقال مداعباً: إن الجنة لا يدخلها عجوز، فقالت فى استغراب: وما لهن؟ فقال: أما تقرئين القرآن.

« إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً »(1)

فأدخل الرسول بهذا الاستدلال السريع على العجوز الأمل الجميل فى جنة لا يدخلها إلا شباب.

ومن هذا المزاح الجميل أنه صلى الله عليه وسلم نادى أنساً رضى الله عنه فقال: ياذا الأذنين) ومن ذا الذى ليست له أذنان. وكذلك يمسك صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيد زاهر بن حزام قائلا: من يشترى هذا العبد فقال زاهر: يارسول الله إذن تجدنى كاسدا. وزاهر هذا كان ولا شك أن الحاضرين قد ضحكوا لمزح الرسول فاهمين مقصده من

---

(1) سورة الواقعة ٣٥

الحديث عنه بكلمة عبد ، وإنه عبد الله ، وإنها عبودية ساميه لا تقدر بثمن .

وهذا صحابي يحب الفكاهة يدعى نعيمان يشترى ذات مرة عسلا ولم يدفع ثمنه ، ويذهب به إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بائعه ويطلب منه أن ينتظره بالباب حتى يبعث إليه بالثمن ، وقدم العسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه هدية وخرج مستأذنا ، وقال البائع انتظر فسيرسلون إليك الثمن الآن ، وطال بالبائع الانتظار فقرع الباب ، وقال : ألا تعطون الثمن لبائع العسل ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم في دهشة : هذه إحدى هنات نعيمان ، أعطوا الرجل ثمن العسل ، وسأل الرسول نعيما حين وقع بين يديه عن هذه الحادثه ، فيقول نعيمان يارسول الله أردت أن أبرك فلم أجد شيئا أقدمه إليك فاحتلت حتى قدمت هذا .

وهنا نجد الفكاهه قد خرجت من حدها المألوف حتى وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بانها إحدى هنات نعيمان وهفواته ، ولكن الرسول صلى الله عليه وعلى الرغم من ذلك قد أفسح لها صدره ووسعها خلقه الجميل .

عهد الظلمات وعهد النور

فى عصر نشرت فيه الضلالة أجنحتها على الأمم وسرى الفساد فى ربوع الدنيا وكان الناس مابين عباد وثنيه يعبدون ماينحتون ، ويذرون أحسن الخالقين ، الله ربهم ورب آبائهم الأولين — وما بين من جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا بناتا لله ولم يعلموا أنهم أساءوا التقسيم حيث جعلوا لله البنات ولهم ما يشتهون فى هذه الموجة العاتية ، وفى هذه الفوضى المروعة وفى هذه الوحشية وحشية وأد البنات — أخذت الناس الدهشة وتولاهم العجب وخاصة من لهم صله بالدين . أين صيحة السماء وهداية الرحمن وأين دعوة إبراهيم ، وأين الناموس الذى نزل على موسى ، و أين النور السماوى الذى كان يظهر من الحين إلى الحين . مبشراً برسالة جديدة تحارب الأوهام والضلالات وتمحو ماران على قلوب الناس من أباطيل وأساطير وجحود وجهل وعصبية آثمة كاذبة ، وبينما القوم يفكرون وإذا بالناموس يسطع من بين جبال مكة فيضىء العالم أجمع بالبعثة المحمدية فازداد المؤمنون إيمانا بقول الله تعالى :

« وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ »(١)

وزال الشك من قلوب المرتابين فكانت رسالته صلى الله عليه وسلم نهضة للإنسانية وثورة عامة على الوحشية ، وغذاء سرى فى شرايين

---

(١) سورة المؤمنين ١٧

الأمة فانتفعت به وصحت ولقد كانت الرسالة المحمدية تعنى بتصحيح العقائد أيما عناية حتى أنها بعد مرحلة غير قصيره انتقلت إلى التشريع ذلك لأن كلمة التوحيد هى التى من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وشرع الشرائع ، ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وتقاسمت الخليقة إلى أبرار وفجار فعليها منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وعليها نصبت القبيلة وأسست لله ولأجلها جردت سيوف الجهاد فلا تزول قدما عبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فجواب الأولى تحققها : لا إله إلا الله ، معرفة وإقرارا وعملا وجواب الثانيه تحققها : أن محمدا رسول الله معرفة وانقياد وطاعة .

هذا ولقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم جهده فى جمع كلمة العرب وتحقيق الوحدة الإسلامية أبلغ تحقيق ، بعد أن كانوا أوزاعا متفرقين بفضل من الله وسياسته صلى الله عليه وسلم الرشيده حتى صاروا سادة بعد أن كانوا مسودين هداة بعد أن كانوا ضالين رحماء فيما بينهم أشداء على أعدائهم يستهدفون غاية واحدة ، سواسية فى الحقوق والواجبات فحققت الوحدة الاجتماعية على أساس العدل الشامل لأنها مستقاة من القرآن الكريم وإن أروع ماعرف عنه صلى الله عليه وسلم عفته وهو فى المال قل ، ورضاه بما قسم الله له ، وزهده فى الدنيا حينما أغناه الله بالتجارة فلم ترقه زخرف الحياة الدنيا ولم يغتر بنعيمها بل زاده إعراضاعنها ، ومع ما كان عليه من فقر القائمين عليه كان يزداد رشداً وعفة وفى أنه كان فى بيت من حلفاء الوثنية شب كارها لها .

ولو كان محمد جرى على المألوف لشارك قومه فى كل مايعملون وأعظم من هذا وذاك أن العباقرة المصلحين قد أمحت ذكراهم ودرست مآثرهم، ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم لايزال أثره على الدنيا وعظمته الخالدة، فلا تزالان حتى تطوى السموات وتبدل الأرض غير الأرض لأنها أفرغت من القرآن الكريم الذى هو حجة الله الخالده الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

قال تعالى :

« وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً »(١)

نهى سبحانه كل عبد من عباده أن يتبع مالا يعلم بأن يقول مالا يكون فى قوله على معرفة أو يعمل مالا يكون فى عمله ، لأن من يقول : مالا يعرف ، أو يعمل مالا يعلم يكون كمن يسلك مسلكا لايدرى أنه يوصله إلى مقصده فإن كلا منهما يمضى فيما هو فيه على غير علم ولا هدى فلا يصل إلى مايريد إن القول بدون علم ، والعمل بغير بينة يستتبعان آثارا ذميمة ، وعاقبة غير محمودة كثيرا ماخالف الناس ربهم سبحانه فى نهيه فيقعون فى محن قاسية ، ويقولون أقوالا يبنوها على أكاذيب سمعوها ، ولم يتبينوا من صحتها فعادت عليهم بالضرر .

---

(١) سورة الإسراء ٣٦ .

ثم إنه تعالى بعد أن نهاهم عن اقتفاء مالا يعلمون ، أردفه بإرشادهم إلى طرق العلم الصحيح مع تحذيرهم عواقب الإخلال بها وأنذرهم سوء الإعراض عن سلوكها ، فقال :

« إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً »(١)

فمن قال : أنه سمع كذا ولم يسمعه كشاهد الزور أمام القضاء مثلا ، وكمن يقول : رأيت هلال أول رمضان ولم يره وكمن يعادى شخصا لأسباب لم يتثبت منها وهكذا ، فمثل هؤلاء الذين اتبعوا خطوات لم يتبينوها وسلكوا سبلا بعدوا فيها عن الحق وضلوا ضلالا مبينا ـ قد أساءوا إلى نعم الله تعالى عليهم بالسمع والبصر والفؤاد وعطلوا حكمة الله سبحانه فى الإنعام ، ولم يستعملوها فيما خلقت لأجله ، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء .

ختم الله جل ثناؤه هذه الوصايا الجليلة المتقدمة بتلك الوصية العظمى ، فنهى الناس جميعا عن رذيلة هى جماع الرذائل ، ومجمع النقائص ، وهى رذيلة الكبرياء فقال : ولا تَمْشِ فى الأرضِ مَرَحاً من الناس من يتملكه الغرور فيتوهم أن له صفات تكسبه العظمة ، وينتحل نعوتا يزعم أنه فاق غيره بها ، ويخيل إليه أنه قد استأثر بفضائل حرم غيره منها ، وتزين له نفسه أنه اختص بمحاسن لم تكن لغيره فتراه يمشى رافعا رأسه ، شامخاً بأنفه إلى السماء كأنه يصعد فيها شديد الدرس والضغط على الأرض بقدميه كأنه يخرقها ويشقها

---

(١) سورة الإسراء ٣٦

مختالا مترنحاً فى مشيته ، معجبا بنفسه التى كذبته وخدعته وكانت به من المستهزئين الساخرين لأنه حقير ضئيل ، عاجز ضعيف ، وأن التكبر لايجعله كبيرا كما زعم وأن التعظم لايزيده تعظما بل يجعله وضيعا عند الله والناس قال تعالى :

« تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(١)

---

(١) سورة القصص ٨٣ .

آدم والملائكة

إن القصة التى جاءت فى القرآن الكريم عن آدم والملائكة فيها رأيان :
الرأى الأول : للسلف وهو التفويض والتسليم والحقيقة لايعلمها إلا الله ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمها .

والرأى الثانى : رأى الخلف وهو التأويل ، وأمثل طرقه فى هذا المقام التمثيل - وقد قضت سنة الله فى كتابه أن يبرز لنا الأشياء المعنوية فى قوالب العبارة اللفظية ، ويجلى لنا المعارف المعقولة بالصور المحسوسة تقريبا للأفهام ، وتسهيلا للإعلام .

ومن ذلك أن عرفنا فى هذه القصة قيمة أنفسنا وما أوزعته فطرتنا مما نمتاز به على غيرنا من المخلوقات ، فعلينا أن نجتهد فى تكميل أنفسنا بالعلوم التى خلقنا مستعدين لها من دون الملائكة وسائر الخلق ليظهر حكم الله فينا ، ولعلنا نعرف معنى إعلام الله الملائكة بفضلنا ومعنى سجودهم لأصلنا .

« وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »(١)

وسجود الملائكة ليس سجود عبادة إذ لا يعبد إلا الله ، وأعظم مظاهر السجود الخرور نحو الأرض للأذقان ووضع الجبهة على الأرض ثم إن السجود قسمان : سجود العقلاء المكلفين له تعبدا على الوجه المشروع وسجود المخلوقات كلها لمقتضى إرادته فيها ، قال تعالى :

---

(١) سورة إبراهيم ٢٥ .

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ »(١)

ويرى السيد رشيد رضا أنه ليس عندنا دليل على أن بين الجن والملائكة فصلا جوهريا عن الآخر وإنما هو اختلاف أصناف ، وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الجن على الملائكة فى قوله تعالى :

« وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً »(٢)

وعلى الشياطين فى آخر سورة الناس وعلى كل فجميع هؤلاء المسميات بهذه الأسماء من عالم الغيب لا تعلم حقيقتها ولا يصح أن نبحث عنها .

وإذا جرينا على أن قصة آدم من باب التمثيل يكون المعنى الإجمالى أن كل شىء خضع للإنسان وذل له إلا شيئا وهو القوى التى سماها إبليس فتخرج به عن حد الاعتدال بالاغراء على الشر ، ويكون المراد بآدم ذريته وبالشجرة معنى الشر والمخالفة ، والخروج من الجنة مايلاقيه من البلاء والعناء .

والشيطان : الروح الخبيثة .

وبعض المفسرين يفسر الملائكة المدبرين للكون من إنماء النبات ،

---

(١) سورة الرعد ١٥

(٢) سورة ص ١٥

وخلق الحيوان وحفظ الإنسان وغيرها أنها لم تكن إلا بروح خاص نفحة من الله فى البذرة فكانت به هذه الحياة البنائية المخصوصة .

وكذلك يقال فى الحيوان والإنسان ، وتوضيح ذلك أن قوام هذه الأشياء بروح تسمى فى لسان الشرع ملكاً ، وتسمى فى عرف علماء الكون قوى طبيعية ، فالحقيقة واحدة ، فالعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات والعمدة فى ذلك طمأنينة القلب . من تفسير المنار .

النفس والروح

القلب مابين الروح والنفس وهو موضع تضارب العواطف الخيرة والشريرة ، وهو دائما يميل إلى حيث يستهوى ، فإن اتجه نحو الروح أضاء ، وأشرق بنور ربه ، وإن اتجه نحو أهواء النفس تكدر ضياؤه وأظلم لذا يقول الله تعالى :

« فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »(١)

ويقول فى النفس واصفا حالتها :

الأولى تطمئن النفس إلى جوار نور الله ولذلك يناديها ربها بقوله :

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا »(٢)

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي »(٣)

وفى الحالة الثانية : يخبث القلب وتنحط النفس ، ويكون كما وصفها

---

(١) سورة الحج ٤٦
(٢) سورة الشمس ٧ — ١٠
(٣) سور الفجر ٢٧ — ٣٠

الصديق يوسف عليه السلام : « إنَّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسُّوء »(١) . . . فالروح فى النقطة العليا والنفس فى النقطة الدنيا التى فيها يباشر الروح شئون الجسد ويكون القلب فى نقطة الوسط وهو نقطة التقاء نور الروح بظلمة النفس التى تغشيها وتكدرها غواش الشهوات وسحب الأهواء والرغبات .

فقلب الإنسان هو له إذا صرفته النفس إلى ناحية العلم والمعرفة وحب الخير واتباع طريق الفضيلة . طاب وصلح ، وإذا صرفته إلى ناحية والشر والجهل والرذيلة فسد وخبث فنعم القلب إذا طاب ، وبئس هو إذا خبث والنفس هى دعامة شخص الإنسان .

---

(١) سورة يوسف ٥٣

رأى الغزالى فى الروح والنفس

يرى رحمه الله أن الروح هو الجارى فى العروق الضوارب فى الشرايين ويقول عن النفس إنها هى الجوهر القائم بنفسه ليس هو فى موضع ولا يحل شيئا، ثم يعود فيشرح حقيقة الروح بأنها الحرارة المنبعثة فى الأعصاب وهى موجودة للبهيمة وبها حياتها والفصل بين الآدمى والبهيمة هى النفس التى أضافها الله تعالى إليه أى إلى ذات الله تعالى فى قوله :

« وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي »(١)

فلو كانت للآدمى هذه النفس دون الروح المخلوقة للبهيمة لقصر عن أفعال البهيمة فى الأكل والتناسل، ولو أن البهيمة أعطيت النفس التى أعطيها الإنسان لكانت عاقلة مكلفة فتبين من هذا أن للإنسان روحا ونفساً، وللبهيمة جسما وروحا لاغيره.

---

(١) سورة الحجر ٩

طب الأرواح الوعظ والإرشاد

حمداً لله على ماأنعم ، وشكرا له على ماتفضل ، والصلاة والسلام على من أرسل بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبعد فما لاريب فيه ولاشك أن الإنسان مكون من عالمين : عالم مادى وعالم روحانى وهما متباينان تباين السلب والإيجاب والنور والظلام فلا يجتمعان فى شيء واحد ولكن الذى خلقهما لايعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء جمعهما فى الإنسان ، ولما كان كل واحد منهما تنتابه الأمراض والأسقام جعل سبحانه لكل داء دواء يستطب به فدواء الجسم من الأرض التى خلق منها ، ودواء الروح من مشكاه الوحى الآلهى قال تعالى :

« لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ »(١)

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا »(٢)

سمى الله سبحانه الشريعة روحاً لأن المجتمع الإنسانى لايحيى ولا يعيش إلا بها كما أن الأجسام لا تحيى إلا بالأرواح فكما أن الجسم من غير الغذاء يموت ، كذلك الروح إذا أهملت ولم تتغذ غذاءها الكافى من الدين فسدت وكانت شرا على الفرد والمجتمع بل هى أشد ضرراً وأعظم خطراً .

لهذا لم يجرد الله تعالى الدنيا من أنبياء مرسلين ، وهداة مرشدين قال تعالى :

---

(١) سورة فصلت ٤٢

(٢) سورة الشورى ٥٢

« وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ »(١)

وقال على كرم الله وجهه : « لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيناته »

ولست مبالغا إذا قلت بأن الشرور التى عمت الكرة الأرضية والمجازر الدموية والمذابح البشرية لم تكن إلا من إهمال الجانب الروحى وعدم تعهده بالغذاء الروحى والوعظ والإرشاد .

قال أحد كبار الفلاسفة ولعله : أفلاطون إن أكثر أخطاء الأطباء أنهم يحاولون علاج الجسد دون العقل فى حين أن العقل والجسد وجهان لشىء واحد فلا ينبغى أن يعالج أحد الوجهين دون الآخر .

فأطباء الأجسام يشفون بدوائهم مستعصى الأمراض ، وهم كثيرون تعج بهم الأرض عجيجا وأطباء الأرواح وهم قليلون يشفون بوعظهم شتى الأمراض قال تعالى :

« أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ »(٢)

فإن الموعظة الحسنة تذهب عن الروح أسقامها ، وتأسو جراحها، فكم من روح سقيمة ونفس مهمومة وجدت فى ثنايا الحكمة شفاء لسقامها، ودواء لآلامها ، وكم من نفس كادت تجمع بصاحبها فتورده موارد الهلاك أتتها

---

(١) سورة فاطر ٢٤
(٢) سورة النحل ١٢٥

موعظة من الله فردتها عن غيها وأنقذتها من الهلاك ، وكم من نفس صدئت بالهموم فأذهب الوعظ همها وجلاها من أصدائها قال تعالى .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ »(١)

المعنى الاجمالى : ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم : أى كتاب جامع لكثير من الحكم البالغة،وشفاء لما فى الصدور من الشكوك والوساوس وقل لهم يامحمد : إنما يحسن الفرح بمجيء فضل الله ورحمته فإنهما خير مما يجمعون من المال لأن المال عارية مستردة ومتاعه قليل ، وماعند الله خير وأبقى ، قال تعالى :

« هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » (٢)

وحزنا . سكنت لموعظة واعظ وإرشاد مؤدب ، وكم من نفس كادت تجمح بصاحبها فتورده موارد الهلاك قد استحكم اليأس فى جوفها وتمكن الزيغ من أركانها عادت إلى رشدها وبالنصح إلى روضة الصواب فسعدت بعد شقاء ونعمت بعد عناء وكم من روح صدئت بالهموم فأذهب

(١) سورة يونس ٥٧ ، ٥٨
(٢) سورة يونس ٣٠

الوعظ همها وجلا أصداءها وأعادها نقية لامعة تسر للألم كما تسر بالعظيم ، وترى فى كل كريهة واعظا وفى كل نقمة سعدا، تحمد الله فى الضراء، وتشكره فى السراء ، وتلك هى النفس الكريمة الراضية ، وربيبة الوعظ وصنيعة الحكم ، ومستقر السعادة الأبدية والنعيم المقيم، تملأ القلوب سرورا والأعين نورا من طلعة محياها .

يقرر أطباء النفس : أن التدين يشفى أكثر من نصف الأمراض التى يشكوها الناس ، والدليل على ذلك أن الذين تنازلوا عن الأديان السماوية أصيب أكثرهم بالجنون، والانتحار قال أفلاطون : إن أكثر أخطاء الأطباء أنهم يعالجون الجسم دون الروح مع أنهما وجهان لشيء واحد فلا يصح أن يعالج أحدهما دون الآخر ويقول أطباء النفس: إن الإيمان القوى والاستمساك بالدين والصلاة كفيلة بأن تقهر القلق والمخاوف، والتوتر العصبى وإن الوعاظ لايحضوننا على التمسك بالدين توقيا من عذاب الجحيم فى الدار الآخر فحسب وإنما يوصوننا بالدين توقيا من الجحيم المنصوب فى هذه الحياة الدنيا. جحيم قرحات المعدة والانهيار العصبى والجنون .

واجب الأمم الإسلامية بعد الاحتلال

لقد تخلصت الأمم الاسلامية من ربقة الاحتلال البغيض الذى ظل جاثما على صدرها ردحا من الزمن إنها المأساة تترك فى كل قلب حسرة وفى كل نفس لوعة فلقد حرص المحتل الغاصب على فصل التربية الروحية عن التربية المادية ، وأخذ يعمل جاهدا فى تحطيم القوى المعنوية فى نفوس الأفراد والجماعات ، وإن الوقت لا يتسع فى استعراض هذه الصفحات الأثيمة للاحتلال الأثيم فى بلادنا منذ وطىء المحتل بلادنا بأقدامه القذرة ، وليس من شك فى أن الخلاعة والمجون وانهيار الأخلاق والأغانى الماجنة والصور العارية والمجلات الداعرة لم تكن إلا من هؤلاء الأجانب تصديقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحاكم فى مسنده فى هذا المعنى والألفاظ مختلفة ولنضرب مثلا : هؤلاء الانجليز قد احتلوا الهند بقوة الحديد والنار ، ولكنهم وجدوا هناك ملايين من المسلمين فيهم نخوة الاسلام وفيهم روح الشجاعة والإقدام أخذت هذه الملايين تقاوم هذا الاحتلال البريطانى الأثيم وتقوم بحركة الجهاد الذى فرضه عليهم دينهم ووعدهم فيه إحدى الحسنيين : فإما النصر مع العزة فى الحياة ، وإما الشهادة مع النعيم فى الآخرة .

وهذه بعض أساليبهم : استأجروا رجلا فى مقاطعة البنجاب بالهند فى بلدة قاديان وأغروه بالمال ليدعى أنه نبى من عند الله ، وأن الجهاد ليس من تعاليم الاسلام ويدعو الناس إلى الخضوع البريطانى والنزول على أمرها لأنها ولية الأمر ، وطاعة أولياء الأمور واجبة ، وهو المتنبىء الكاذب يسمى غلام أحمد القاديانى وقد خذله الله تعالى ولم تقم له قائمة .

أثر الدين فى الحياة الاجتماعية

العقل والدين كل منهما يسير قدما إلى أنبل الغايات ، وأفضلها ، وهى تحقيق حياة حرة بالهناءة ، وتزكو بالصدق والإستقامة ، وتدعو إلى التكافل ، والإحسان ، والخير وعمارة الأرض ، ونشر الطمأنينة والسلامة وليس من شك فى أن أقوى سلاح المؤمن فى القضاء على نزعات النفس ، وكبح جماح الشهوات إنما هو فى صحة العقيدة ، بالمسئولية أمام الله تعالى فالدين هو المشكاة التى نستضىء بها إذا أظلمت علينا الحياة ، والمعين الذى نستمد منه القوة والعزاء فى الأحزان ، وسلوتنا إذا خابت مساعينا كذلك من كمال حكمة الله تعالى ومقتضى حمده أن تكون هناك دار تقع فيها الإحسان والإساءة ويتعلق بأهلها أحكام صفات الله العليا وأسمائه الحسنى ، ثم يعقبها دار أخرى للجزاء ، وإلا تعطلت فيه صفات الجلال والكمال ، أليس من صفاته أنه هو المعز المذل الخافض الرافع القابض الباسط ، والحكم ، العدل العفو المنتقم الجبار .

أساس نجاح الدعوة الإسلامية :

إن الصبر على المكاره ، والثبات على المبدأ هما ثمن الفوز وطريق النجاح ، ولقد تضافرت على الرسول صلى الله عليه وسلم قريش وتألبت عليه العرب فما وهن لما أصابه فى سبيل الله ، وماضعف ولا استكان وما خضع للقهر خضوع العبد الذليل مما يجعله وفياً لعقيدته ، وفاء لايتزلزل ، ولقد

ساوموه ليخون عقيدته ، وبذلوا له كل مايطلبه الناس من متع الحياة الدنيا ، فأبى عليهم كل الإباء .

فانظر كيف يكون الثبات على الحق أمام فتنة الدنيا . وما أحوج العالم الذى يجتاحه القلق والإضطراب إلى سياسته الرشيدة حتى ينجو من هذا الخطر الذى يحدق به .

أنواع الصدقة

أنواعُ الصدقة كثيرة ، وكلُّ مال على صاحبه حقٌّ سوى الزكاة وقد جاء ذلك في أحاديث صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها : (من كانَ عِندَه طعامُ اثنين فليذْهبَ بِثالثٍ ومن كانَ عِندَه طعامُ أربعةٍ فليذهبَ بخامسٍ أو سادسٍ .

وقال صلى الله عليه وسلم : (على كلِّ مسلمٍ صدقةٌ فقالوا يانبيَّ الله فإن لم يجِدْ قال يَعْمَلُ بيدِهِ فينفع نفسه ويتصدَّق قالوا فإن لم يجد قال يعينُ ذا الحاجَةِ الملهوفِ قالوا فإن لم يجِدْ قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشرِّ فإنها صدقة) البخاري ومن ذلك أيضا : أن يعدِل بين الاثنينِ صدقة وأن يعينُ الرجُلَ على دابتِهِ فيحْمله عليهما صدقة . وبكلِّ خطوَة يمشى إلى الصلاة صدَقة والكلمةُ الطيِّبة صدَقة)

وفي البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : لايغرسُ مُسلم غرْساً ولايزرعُ زرعا ، فيأكلُ منه إنسان وإلا كانتْ له صدقة ، وفي الطبراني الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحمْ الكاشح) والصدقة على القريب فيها : أجر الصدقة ، وأجر الصلة ، ومعروف أن الإنسان يكون آثماً إذا قصر فيه وفي مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : (كفى بالمرء إثما أن يضيِّع من يعول) .

فإذا كان المال لايكفى ، فيبدأ أولا بنفسه ، ثم بزوجته ، ثم بولده .

وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا أنفقت المراة من طعام بيتها ، غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك . لاينقص بعضهم أجر بعض شيئا ، رواه البخارى هذا إذا أذن لها أوظنت رضاه .

وما أحسن ماقيل :

إذا جادت عليك الدنيا فجد بها على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت ولا البخل يبقيها إذا ولت

من الأمراض النفسية

من الناس من طاشت موازين الحياة الجنسية لديهم ، فهو لا يستطيع جماح نفسه ، وقد أصابه جموح ، أو انتكاس ، فهو لا يجنح إلى المرأة إلا إلى بضع منها ، أو شيء يرمز إليها ، وآخر يأتي الذكران ، وهذا كله من تزيين الشيطان ومنهم من يزهد في زوجته ويميل إلى غيرها وربما كانت أقل جمالا من زوجته ، وهكذا ، وقد عالج الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأمراض فقال : (إذا رأى أحدُكم امرأةً حسناء ، فأعجبته فليأتِ أهلَه، فإن البُضعَ واحدٌ ومعها مثل الذي معه) عن ابن عمر في التاريخ ، وفي حديث آخر (إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدَكم من امرأة ما يُعجبه فليأت أهله ، فإن ذلك يردّ ما في نفسه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مِرّةٍ سَوِيّ وقال أيضاً : المسألة لا تحل إلا لذي ثلاثة : لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع رواه أحمد وغيره .

المفردات (مدقع : شديد غرم فظع وهو الذي دفع من ماله ليصلح بين الناس دم موجع) تحمل دية بقتل الذي عليه الدم لو لم يدفعها .

من خطب عمر بن عبد العزيز . أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم وأن امرءاً ليس بينه وبين آدم حجاب لمغرق في الموت فكيف إيطمئن إلى الدنيا من لا يأمن .

عواقبها ، أعوذ بالله آمركم بما أنهى عنه نفسى ، فتخسر صفقتى وتظهر حيلتى وتبدو مسكنتى ، يوم لاينفع فيه إلا الحق والصدق ثم بكى وبكى الناس حوله، ومن قوله أيضاً : أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، وأصلحوا آخرتكم تصلح دنياكم ، وإن امرءً أليس بينه وبين آدم أب لمعرق فى الموت .

٢ — لما قدم معاوية المدينة قال : يا أيها الناس إن أبا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده . وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما عثمان فنال منها ونالت منه ، وأما أنا فنالت بى وملت بها ، فهى أمى وأنا ابنها فإن لم تجدونى خيركم فأنا خير لكم ، وكان يقول : « لو أنه بينى وبين الناس شعرة ماانقطعت أبداً قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : إذا مدوها أرخيتها . وإذا أرخوها مددتها » .

٣ — عن بن المنذر رضى الله عنه : أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إن فلانا هلك فصل عليه فقال عمر إنه فاجر فلا تصل عليه ، فقال الرجل يارسول الله ألم تر الليلة التى أصبحت فيها فى الحرس فإنه كان منهم فقام الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى عليه وبعد دفنه حثا عليه ثلاث حثيات ، ثم قال : يثنى عليك الناس شراً ، وأثنى عليك خيراً ، فقال عمر : وما ذاك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعنا عنك يابن الخطاب ، من جاهد فى سبيل الله وجبت له الجنة .

٤ — كتب معاوية إلى الحسن بن على : من معاوية بن أبى سفيان إلى الحسن بن على : وبعد فقد بلغنى أنك تزوجت بمولاتك وتركت أكفاءك

من له مجد تستنجيه الولد ، وتمجد به فى الطهر ، فلا لنفسك نظرت ولا لولدك أنتقيت فرد عليه الحسن وقال له : . . فليس فوق رسول الله منتهى فى شرف ولا غاية فى النسب وإنما كانت ملك يمينى خرجت من يدى بأمر التمست فيه ثواب الله ، ثم ارتجعتها على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رفع الله بالإسلام ، الخسيس ، ووضع به النقيص ، فلا لوم على امرىء مسلم إلا فى أمر غاشم ، وإنما اللوم لوم الجاهلية فأعطى الكتاب ليزيد فأخذه وقال لأبيه لشد مافخر عليك الحسن فقال له . ولكنها ألسنة بنى هاشم التى تفلق فيه الصخر وتغرف من البحر .

بمثل هذه التعاليم الإسلامية سطعت الدعوة الإسلامية ، وتألقت فى آفاق الدنيا ، وسارت معها فضائلها ، وذاعت محامدها حتى صار علم الإسلام يخفق على باب كسرى وباب قيصر هاتان الدولتان اللتان لم تكن على وجه الأرض دولة تدانيهما ، وقد أذهلت هذه الفتوحات علماء الإجتماع وكبار الفلاسفة ، وما كان ذلك إلا بالعمل والإخلاص ، هذا وإن حال المسلمين فى القرن العشرين لايرضى من جهة الدين ولا من جهة الدين وما ذلك إلا تعطيل الجهاد واكتفائهم بالتسبيح وقراءة الأوراد ، والاستغاثة بالأولياء .

مما أثر عن عمر رضى الله عنه : أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير موصول بشريط ، فرأى أثر الشريط فى جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : ما الذى أبكاك يا ابن الخطاب ، فقال : ذكرت كسرى وقيصر وما هما من

الملك ، وذكرتك وأنت حبيب الله . . . . فقال أما نرضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يارسول الله قال : فذالك كذلك أو كما قال .

قال عيسى عليه السلام : « لم أرسل إلا إلى خراف اسرائيل الضالة » .

وقال نبي الإسلام صلى الله وسلم : « والله لو كان موسى بين أظهركم ماوسعه إلا اتباعى » .

شريعة الإسلام قائمة على أساس العقل والاستقلال ، المحقق لمعنى الإنسان من مصالح الروح والجسد لهذا نجد كثيرا من المفكرين الذين يحكمون عقولهم ، ولم تؤثر فيهم التقاليد الممقوتة والوراثة المزرية يعتنقونه وها هو ملك التتار يدخل فى الإسلام مع أنه هو الغالب ، وغيره من المستشرقين منهم : اللورد استانلى ، سئل : لماذا أسلمت وقد كنت مفرقا فى نصرانيتك ؟ فقال : أو أغمط الفضل وأهله ، وأحمد الله وعلبه ولولاه لما كنت عالما شيئا ، فقيل : وما هذا الفضل الذى لا يجحد ؟ فأجاب من فوره : لم يكن أبى وأمى مسلمين ، وكم أنا حزين لهذه الذكرى المؤلمة ؟ فليتهما نالا من شرف الإسلام مانال ولدهما ، وقد نشأت نشأة تدعو إلى التفكير وحرية الرأى ، ولكنى كنت أكن للنصرانية فى نفسى أشد الحب ، وكنت مشربا بحب العلم والعلماء ، فوقع مرة كتاب الله فى يدى ، فما اطلعت عليه حتى ازددت رغبة فى الاطلاع وإمعانا فى تلاوته ، وكانت لذة معانيه تنسينى كل ماقرأت ، وما أفرغ من تلاوته حتى أرى مداد البكاء يهتاجنى . والألم ينتابنى وكان الباعث على ذلك فى مبدأ الأمر مجهولا ، ولكن بالبحث واستقراء أنحاء نفسى بنفسى وجدت أن هذا الألم ناشىء عن تذكر ماأنا عليه فقضت

عن نفسى نقع التعصب وغبار القديم الممقوت والوراثة المزرية وأصبحت اليوم مسلما كالمسلمين الذين أخذوا الدين عن أب وهم لايعرفون منه إلا اسمه، بل مسلما لحما ودما .

أنا مسلم ورأيت عظم أثر الإسلام فى نفسى وقدرته حق قدره ، وهو عندى عزيز ، لأنى رأيت الفرق شاسعا بينه وبين الأديان المنسوخة ولأنى رضيت به بعد بحث واجهاد فلا أقبل به بديلا .

أنا مسلم أهزأ بكل مايحيط بى من مظاهر المدنية فصحيحها الحق من كتاب الله وقرآنه وباطلها المذاع لايثبت أن تبرهن الأيام على بطلانه .

التشريع الإلهى مشتق من فطرة الإنسان

فشريعة اليهود مبنية على الشر فى تربية الله لهم لأنهم قساة القلوب، غلاظ الأكباد، ألفوا العبودية والذل وفقدوا العزة والإرادة والرأى والاستقلال، لهذا كانت شريعتهم مادية جافة، شديدة، ليس لأهلها فيها رأى ولا اجتهاد، ولم يعرف التاريخ أمة جاءت فيها الرسل تترى كشعب إسرائيل لذلك كانت بمعزل عن قبول العذر بطول الأمد على الإنذار، وقد عهد فى سيرة البشر أن الأمة توعظ وتنذر فتتيقظ فإذا طال عليها الأمد بعد النذير تقسو القلوب وتذهب أثر المواعظ من الصدور وتفسق عن أمر ربها، وتحرف ماجاء فى كتابها عن موضعه بضروب التأويل وزخرف القول والعمل فشريعة الإسلام نظم الله بها حياة الناس جميعا، وفيها دنيا ودين، وقد أفرغ الله فيها فضائل الأديان، وكل مايطلبه الناس من متع الحياة، ولم يحرم شيئا إلا إذا كان فيه ضرر على الفرد، والمجتمع أو يفضى إلى الضرر، مثل اختلاط الجنسين والتبرج الفادح وخلوة الرجل بالمرأة وشرب القليل من الخمر الذى لايسكر، فما حرم الله هذا إلا لما فيه من الضرر، إن عاجلا أو آجلا قال تعالى:

«أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»(١)

(١) سورة الحديد ١٥

وجماع القول أن اليهود قوم أنانيون استعبدهم المال فأذلهم ، والأمانى فأضلتهم تغلبت عليهم الحياة المادية والأثرة الطاغية فاستحلوا أموال جميع الشعوب إلا شعب إسرائيل وقد حكى القرآن ذلك فى قوله تعالى : « ليس علينا فى الأميين سبيل » .

ومن خرافاتهم أن القربان المتقبل عندهم أن تنزل نار من السماء فتحرقه لأن الله تعالى حرم إحراق الحيوان فكيف ينزل الله نارا تحرقه وبخاصة إذا كان متقبلا ، وهم الذين بدلوا دين المسيح لأنه لم يوجد فى كتب الأنبياء السابقين ، ولا فى العهد القديم ما يدل على التثليث ولا صلب المسيح إلا إنجيل واحد يقول : فى البدء كانت الكلمة ، أما الشريعة المسيحية فهى يهودية من جهة وروحانية شديدة من جهة أخرى تأمر أهلها أن يسلموا أنفسهم وأمورهم للمتغلبين من أهل السلطان والحكم مهما كانوا عليه من الفساد والظلم وأن يقبلوا كل ما يساومونه ، ويجعلون عنايتهم كلها بالأمور الروحية فى تربية العواطف والوجدانيات .

سؤال نستوحيه من شعور القارئين : لماذا نجد النصارى أقرب إلينا من اليهود مع أنهم مثلثون واليهود موحدون ؟

الجواب : أن عقيدة النصارى لم يكن لها تأثير على النفوس فتبعدهم عن الإسلام لأن العقل لا يهضمها يقول روى ديكسون سميث فى كتابه المسمى « ضوء حديث على البعث » ونصه . لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التى لا توازى فى مجموعتها منذ بدء الخلق إلى نهايته كوكبا من الكواكب المتناهية فى الصغر لكى يعانى

موتاً وحشياً فوق الصليب لترضيه النقمة الإلهية على البشرية ، ولكى يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجى الذى لا يستثيغه عقل ألا وهو الفداء » ه .

على أن التفرقة بينهما إنما كانت فى الأخلاق والآداب وبين أخلاق اليهود والنصارى بعد شاسع فى الأخلاق والآداب .

بحث قيم فى الناسخ والمنسوخ

جاء هذا البحث فى ملحق الجمهورية ، ٨ المحرم سنة ١٣٨٧ الموافق ٢٨ إبريل سنة ١٩٦٧ بإمضاء الأستاذ مصطفى زايد .

خمس وسبعون آية ممن قيل بنسخها ، وقد بطلت دعوى النسخ عليها لأنها أخبار ، والأخبار لا تنسخ .

وثمان وستون آية بطلت دعوى النسخ عليها لأنها للوعيد ، والوعيد لا ينسخ .

ثلاث وستون آية ادعى عليها النسخ خطأ بآية السيف مع أنها جميعها محكمة .

ثمانى وأربعون آية ادعى عليها النسخ ، وإنما هى للتخصيص بأنواعه أو التقييد أو التفصيل .

ثلاث وستون آية لم يصح النسخ عليها لعدم التعارض بينها وبين نواسخها .

وست لم يصح دعوى النسخ عليها مع أن المؤلفين فى الناسخ والمنسوخ يجمعون عليها ، والأصوليون يمثلون ببعضها على أن النسخ فيها مسلم .

مصطفى زايد

المؤلف : لا تغتر أيها القارىء بما عليه الكثيرون من القول بالنسخ

فإنه لو سلم النسخ فى الأخبار والوعيد لكان الرجوع عن المنسوخ خطأ وتعالى الله عن ذلك ، وأما التخصيص والتقييد ، والتفضيل والتفسير فإنه مسايرة للطباع ، وتدرجا فى التشريع كالطبيب الذى يعالج المريض ، فإنه يتدرج معه فى العلاج والغذاء حتى يشفى .

وقول الله تعالى :

« مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »(١)

معنى النسخ هنا : المعجزة ، بدليل ختم الآية بانه على كل شىء قدير ، ولم يقل إنه حكيم ومعنى ننسها : نذهبها من ذاكرة الناس .

---

(١) سورة البقرة ١٠٦

واجبنا نحو الشباب

شباب كل أمة هم رجالها ، وعدتها على العدو ، وبهم تسمو وتعلو ، وتنال بغيتها ماداموا قد تثقفوا بالعلم ، فإن العلم هو السلاح الوحيد الذى به تستطيع الأمة أن تستقل استقلالا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ولا ينال العدو منها نيلا ، وإذا قلبت صحف التاريخ تجد شباب هذه الأمة هو الذى استطاع أن ينقذ هذه الامة من الهوة السحيقة التى كانت مترديه ، فيها ، وانتشلها من ظل الاحتلال فقد كانت العرب قبل عهد الإسلام يعانون فوضى وهمجيه : انحلالا فى الأخلاق ، وهجوما على الآداب ، فلما جاءهم الإسلام حثهم على العلم والآداب فقام الشباب بواجبهم فعزوا وسادوا ، وفتحوا وساروا ونشروا ثقافتهم فى العالم ، فانتفعت الدنيا بمواهبهم ، وهابهم الأجانب . ومن هؤلاء خالد بن الوليد الذى فتح الشام ، وعمرو بن العاص الذى فتح مصر ، وسعد ابن أبى وقاص الذى فتح بلاد فارس ، وعقبة بن نافع الذى فتح بلاد المغرب وطارق بن زياد ، وموسى بن نصير اللذين فتحا بلاد الأندلس فى أوربا .

آية الإيمان

الخوف من الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خَافَ أَدْلَجَ ومن أَدْلَجَ بلغَ المنزلَ ألا إنّ سِلعة الله غالية ألا إنّ سِلعة الله الجنة » رواه الترمذى وغيره .

دخل محمد سليمان أمير البصرة على حماد بن سلمة وقعد بين يديه ، يسأله فقال يا أبا سلمة كلما بصرت إليك ارتعدت فرقا منك قال : لأن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله خافه كل شىء وإذا أراد أن يكنز به الكنوز خاف من كل شىء .

ومن هذا قول بعضهم على قدر هيبتك لله يخافك الخلق ، وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق وعلى قدر اشتغالك بالله يشتغل الخلق بأشغالك .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يمشى يوما ووراءه قوم من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم خروا على ركبهم هيبة له ، فبكى عمر وقال : اللهم إنك تعلم أنى أخوف لك منهم فاغفر لى وقال ابن مسعود : ليس العالم بكثرة الحديث ولكن بعلم الخشية .

قال ابن مسعود أيضا : المؤمن يرى ذنوبه كأنها فى أصل جبل يخاف أن تقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار وقال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ »(١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « أطَّتِ السماء وحقَّ لها أن تَئطَّ مافيها موضعُ أربع أصابع إلا ملكٌ ساجدٌ لله، والله لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصَّعدات تجأرون . » رواه أبو ذر. وقال صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم البهائمُ ما يعلم ابنُ آدم من الموت ما أكلتم منها سمينا » البيهقى فى شعب الإيمان ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع فى الجنة » رواه الترمذى - وفى الحديث القدسى : « وعزتى وجلالى لا أجمعَ على عبدى خوفَين وأمنين إذا خافنى فى الدنيا آمنتهُ يوم القيامة ، وإذا أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة » رواه ابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو علمتم ما أدَّخرُ لكم ما حزنتم على ما زُوى عنكم » رواه أحمد عن العرباض ، وقال صلى الله عليه وسلم « تعوَّذوا بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء » . وقال أيضا : « عجبت لطالب الدنيا والموتُ يطلبه وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه ، وعجبت لضاحك ملء فيه ولا يدرى أرضىَ عنه أم سخط » لابن عدى فى الكامل وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يموت إلا ندم ، إن كان محسناً ندم ألا يكونَ ازداد وإن كان مسيئاً ندمَ ألا يكون نزع » ابن ماجه وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى قال : « إنما مَثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل

---

(١) سورة الأعراف ٢٠١

أتى قوماً فقال يا قوم إنى رأيتُ الجيشَ بعينىَّ، وإنّى أنا النذير العريان ، فالنجاءَ ، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا (١) فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثلُ مَن أطاعنى فاتّبع ما جئتُ به ومثلُ من عصانى وكذَّبَ بما جئتُ به من الحق ؟

كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه للحسن أن يجمع له أمر الدنيا ويصف له الآخرة ، فكتب إليه ، إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والموت متوسط ، ونحن أصحاب أحلام ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر إلى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن علم عمل ، ومن خاف سلم ، واعتبر أبصر ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فاقلع ، وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس .

وقال آخر : إن أهل هذه الدار سفر لايحلون عقد الرحال عنها إلا فى غيرها ، وقد أتاك بما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ماليس براجع إليك وأقام منك من ليس يطعن معك واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام فأمس عظة ، وشاهد عدل ، فجعك بنفسك وأبقى لك أو عليك واليوم صديق أتاك ولم تأته طالت عنك غيبته وستسرع عنك رحلته وهو وشيك الزوال سريع الانقلاب عما قليل سينخرط فى سلك الماضى الدابر .

أدلجوا : ساروا أول الليل .

وغدا لا تدرى من أهله وسيأتيك إن وجدك .

فما أحسن الشكر للمنعم . والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها فما بقاء الفروع بعد الأصول واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلق وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

آخر : إن أجل الإنسان مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يزين له المعصية فيرتكبها ويمنيه التوبة فيسوفها حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها .

فيالها حسرة على كل ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، وتؤديه منيته إلى شقوة قال على كرم الله وجهه : « إن الموت طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم وليس عنه محيص .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من شرِّ الناس عند الله منزلةً يومَ القيامة الرجلَ يُفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها رواه مسلم عن أبى سعيد .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « الذكر ينبت الإيمان فى القلب كما ينبت الماء البقل » .

كلمة أعرابية : حجت أعرابية ومعها ابنها فأصيبت به ثم قامت على قبره بعد دفنه وقالت : أى رب منك العدل ومن خلقك الجور ، وهبته لى قرة عينى فلم تمتعنى به كثيرا بل سلبته وشيكا ، ثم أمرتنى بالصبر ووعدتنى عليه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على من

ترحم على من استودعته الردم ، ووسدته التراب ، اللهم ارحم غربته ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تنكشف الهنات والسوآت ، فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره وقالت : أى بنى : إنى قد تزودت لسفرى فليت شعرى ماذادك لبعد طريقك ، ويوم معادك ، اللهم إنى أسألك الرضا عنه برضائى عنه ، فلم تزل تقول هذا حتى أبكت السامعين ثم حمدت الله واسترجعت وانصرفت ثم قالت : استودعتك من استودعك فى أحشائى جنيناً وأثكل الوالدات .

من خطب عمر رضى الله عنه وإنى لا أجد هذا المال يصلحه إلا خلال ثلاث : أن يؤخذ بالحق ويعطى بالحق ، ويمنع عنه الباطل ، وإنما أنا ومالكم كولى اليتيم إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف . ولست أدع أحداً يظلم أحدا ، أو يعتدى عليه ، حتى أضع خده على الأرض ، وأضع قدمى على الخد الآخر ، حتى يخضع للحق ، ثم قال رحمه الله : لولا المصائب لبطر العبد وبغى وطغى فيحميه بها من ذلك ، ويطهره مما فيه ، فسبحان من يرحم ببلائه ، ويبتلى بنعمائه كما قيل :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم .

واعلم أن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، والعكس بالعكس ، ولهذا قال عليه السلام : الدنيا سجنُ المؤمن ، وجنةُ الكافر أحمد وغيره عن أبى هريرة وقال : « حُفَّتِ الجنة بالمكاره وحُفَّتِ النارُ بالشهوات مسلم وغيره عن أنس » .

معلوم أن العاقل من احتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد وذل ساعة لعز الأبد وعن أم العلاء عمة حرام بن حكيم الأنصارى ، قالت : عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريضة وقال : (أبْشرى يا أمَّ العلاء فإنَّ مرضَ المسلمُ يذهب اللهُ به خطاياه كما تذهبُ النارَ خَبثَ الحديد .

ومن شاء أن يعرف أنواع البلاء التى كان ضرها أكثر من شرها ، ونفعها أقرب من ضرها فليقرأ قصة يوسف التى قصها الله علينا فى القرآن الكريم فلقد عمه البلاء من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه ، وبعدهذا الابتلاء تبوأ عرش مصر ، وصار ملكا عليها ، ويجيء إخوته إليه بعد أن عضهم الجوع يمدون يد الضراعة والذل .

« قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ »(١)

فى هذه تلاشى كل ألم وكل حزن نزل به ، فمن هذا كله يتحقق لنا أن من البلاء ما يكون سببا فى خير عظيم .

فلقد امتحن يوسف امتحاناً قاسياً ، وابتلى ابتلاء عظيما منذ نعومة أظفاره إلى أن بلغ من العمر أقصاه ، ثم عوضه الله تعالى .

فلقد فقد حنان الآباء وأحضان الأمهات ، صغيراً ، ثم رمى فى البئر ،

---

(١) سورة يوسف ٨٨

ورأى شبح الموت ثم تكاءدته محنة أعظم وهى اتهامه فى عرضه ، وانتهت هذه المحنة فى زجه فى ظلمات السجن الذى يجمع حثالة الناس وأشرارهم وكان هذا تمهيداً لأن يتولى ملك مصر .

فمن كان يظن أن هذه المصائب ستوشحه إلى أعظم منصب من مناصب الدنيا إن فى ذلك لعبرة لمن يعتبر ، وذكرى لمن يذكر .

وقد توعد الله تعالى الذين بخلوا بأموالهم شر وعيد فى آيات كثيرة فى القرآن الكريم منها :

« يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى »(١)

المعنى الإقرارى

فصيلته عشيرته — اللظى اللهب الخالص .

الشوى مفرده شواه وهى جلدة الرأس — أوعى : جعل المال فى وعائه ومنعه عما يستحقه .

---

(١) سورة المعارج ١١-١٨

ومنها قوله تعالى :

« يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ، خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ ، وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ، لاَ يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ » (١)

المعنى الإفرادى

القاضية الموتة الأولى (سلطانية) : ملكى وتسلطى على الناس . (فغلوه . ضعوا الأغلال فى عنقه (صلوه : أدخلوه فى الجحيم . الغسلين : غساله أهل النار (الخاطئون المتعمدون للخطأ) قال تعالى :

« اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ » (٢)

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الأول من الضوء المنير ويليه الجزء الثانى

---

(١) سورة الحاقة ٢٧ - ٣٧

(٢) سورة الشورى ٤٧

ولا ينسى القارىء أنى نبهت فى جمع مؤلفاتى أنى لا أذكر الحديث الضعيف إلا إذا كان مندرجا تحت أصل عام أو يؤيده حديث آخر فى معناه وألا يكون الضعف شديداً وأن يكون فى فضائل الأعمال لافى العقائد ولا فى إثبات حكم من الأحكام والحمد لله رب العالمين ؟

(فهرست)

السور التى لم توضع أرقامها

صفحة	سطر	سورة	الآية
٢٠	١	سورة الأنفال	٢٨
٢٤	٥	« التوبة	٤
٢٠	١٣	« الاسراء	٨١
٢٥	١	« الروم	٣٠
٥٦	١٢	« آل عمران	١٨
٥٦	١٤	« فاطر	٢٨
٥٦	١٨	« القلم	١
٥٧	٥	« يونس	١٠١
٥٨	٣	« الجن	٩
٥٨	٨	« الرحمن	٥ ، ٦
٥٨	١١	« «	٧
٥٨	١٤	« الجن	٩
٥٩	٤	« الرحمن	٣٥
٥٩	١٤	« الانشقاق	٢١
٦٠	٥	« فصلت	٥٣
٦٢	٧	« الذاريات	٤٩